

حكايات شعبية

من

إفريقيا وأندونيسيا والسلاف

عبد التواب يوسف

رسوم

رأفت محيي الدين

سفيان

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع : ١٩٧٧٤ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي : ISBN 977 - 361 - 357 - 7

سفير

١٦ ش محمد عز العرب من ش القصر العيني - ص.ب: ٤٢٥ الدقي - القاهرة

ت : ٢٥٣٢٩٩٠٢ - ٠٠٢٠٢ فاكس : ٢٥٣٢٩٥٠٥ - ٠٠٢٠٢

E-Mail: info@Safeer.com.eg Web Site: www.safeer.com.eg

المعرض الدائم

٤٨ ش أحمد عرابي المهندسين

تليفون : ٣٣٠٤٩٤٠٣ / ٢٠٢ +

قصص من إفريقيا



بَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ

إِفْرِيقِيَا السَّمَرَاءَ عِنْدَهَا وَلَعَّ خَاصُّ بِالْعَنْكَبُوتِ ، وَفِي كَثِيرٍ مِنْ
بُلْدَانِهَا يُطْلَقُونَ عَلَيْهِ اسْمَ : « أَنَانَسِي » . وَهُمْ يَنْسَجُونَ عَنْهُ حِكَايَاتٍ
وَقَصَصًا عَدِيدَةً ، وَعِنْدَمَا يَرْعَبُونَ فِي امْتِدَاحِ شَخْصٍ يَقُولُونَ عَنْهُ :
إِنَّهُ مِثْلُ الْعَنْكَبُوتِ ؛ لِأَنَّهُمْ يَجِدُونَ فِيهِ مِنَ الْمِيزَاتِ مَا يَجْعَلُهُمْ
يُحِبُّونَهُ ، وَيَحْتَرِمُونَهُ ، وَيَعِزُّونَهُ ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُ هُوَ الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ
يَأْتِيَ بِكُلِّ هَذِهِ الْحِكَايَاتِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَيَنْسَبُونَ إِلَيْهِ
أَعْمَالًا خَارِقَةً ؛ مِنْ أَجْلِ مَزِيدٍ مِنَ التَّقْدِيرِ وَالْإِعْجَابِ بِهِ .

الْعَنْكَبُوتُ « أَنَانَسِي » كَانَتْ عِنْدَهُ مُشْكِلَةٌ صَعْبَةٌ ، بَلْ هِيَ بِالْغَةِ
الصُّعُوبَةِ ، يَقُولُونَ لَهُ :

- لَيْسَ هُنَاكَ مَخْلُوقٌ إِلَّا لَدَيْهِ مَتَاعٌ وَمَصَاعِبُ .
- أَعْرِفْ ، لَكِنْ لَا أَظُنُّ أَنَّ هُنَاكَ غَيْرِي لَدَيْهِ مِثْلُ مُشْكِلَتِي .
- فَكَّرَ كَيْفَ تَحُلُّهَا وَتَتَغَلَّبَ عَلَيْهَا .
- لَقَدْ فَكَّرْتُ أَنَا وَأَجْدَادِي ، مِنْذُ وَجَدْنَا عَلَى الْأَرْضِ فِي
مُوَاجَهَتِهَا ، وَلَا أَظُنُّنَا نَجَحْنَا ! .
- كَرَّرَ الْمُحَاوَلَةَ ، لَكِنْ قُلْ لِي : مَا هِيَ الْمُسْكِلَةُ ؟
- أُرِيدُ أَنْ أَنْسِجَ بَيْتِي .



— مَا مِنْ أَحَدٍ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ

هَذَا !

— أَيْنَ أَبْنِيهِ؟

— أَيْنَمَا تَشَاءُ وَحَيْثُمَا تُرِيدُ .

— هُنَاكَ مَنْ يَعْتَرِضُ عَلَى ذَلِكَ ، وَيَرْفُضُ

بَشِدَّةً .

— لِمَاذَا؟

— يَدْعِي أَنَّهُ يُرِيدُ بَيْتَهُ نَظِيفًا ، وَيَرَى

فِي شَخْصِي وَفِي بَيْتِي مَا يَشُوهُ مَنْظَرُهُ

وَيُسِئُ إِلَى رَوْنَقِهِ !

— مَاذَا؟

— إِنَّهُ مَا يَقُولُونَهُ وَيَرُدُّونَهُ لَيْلَ نَهَارٍ .

— لِذَلِكَ تَقُولُ : إِنَّهَا مُشْكِلَةٌ لَيْسَتْ سَهْلَةً وَلَا يَسِيرَةً؟

— نَعَمْ ، وَفِيمَا يَبْدُو مَا مِنْ سَبِيلٍ أَوْ وَسِيلَةٍ إِلَّا بِالْهَرُوبِ إِلَى

مَطْبَخِ الْبَيْتِ ، وَاحْتِلَالِ رُكْنٍ مُظْلِمٍ فِيهِ .

— تَنْبَهُ إِلَى ضَرُورَةِ أَلَا تَرَكَ رَبَّةَ الْبَيْتِ .

— هَذَا مَا أَرْجُوهُ .

تَسْلُلُ الْعَنْكَبُوتُ إِلَى الْمَطْبَخِ بِسُرْعَةٍ ، سَاعِدَتُهُ عَلَيْهَا أَرْجُلُهُ

الْثَّمَانِيَّةُ، وَبَحَثَ عَنْ مَكَانٍ مُنَاسِبٍ يُقِيمُ فِيهِ بَيْتَهُ ، وَيَنْسِجُ خُيُوطَهُ،
وَوَقَعَ اخْتِيَارُهُ عَلَى بُقْعَةٍ لَيْسَ مِنَ السَّهْلِ عَلَى أَحَدٍ أَنْ يَلْمَحَهُ أَوْ
يَرَاهُ فِيهَا، وَتَسَلَّقَ الْجُدْرَانِ إِلَيْهَا، وَفِي هُدُوءٍ وَتَوَدَّةٍ أَخَذَ يَتَفَنَّنُ فِي
إِقَامَةِ بَيْتِهِ الْهَادِي الْبَسِيطِ الَّذِي تَعَوَّدْنَا أَنْ نَرَاهُ فِي الْأَمَاكِنِ الْبَعِيدَةِ
وَالْمَهْجُورَةِ.

بَدَأَ الْعَنْكَبُوتُ « أَنَانِسِي » يَصْنَعُ بَيْتَهُ .. هَلْ تَعْرِفُونَ كَيْفَ؟
أَخْرَجَ خَيْطًا طَوِيلًا مُمْتَدًّا شَبَكُهُ بَيْنَ الْجِدَارَيْنِ الْمُتَلَاصِقَيْنِ مَعَ
السَّقْفِ ، وَجَعَلَ مِنْهُ إِطَارًا وَثَلَاثَةَ أَضْلَاعٍ مِنْ مُرَبَّعٍ ، وَتَرَكَ الضِّلْعَ
الرَّابِعَ دُونَ أَنْ يَرِبْطَهُ بِشَيْءٍ ، وَنَزَلَ بِخَيْطِهِ إِلَى الْوَسْطِ تَقْرِيبًا ، وَعِنْدَهُ
أَخَذَ يَمُدُّ خُيُوطَهُ بَيْنَ أَضْلَاعِ الْمُرَبَّعِ طَوِيلًا ، وَعِنْدَ الْمُنتَصَفِ لَفَّ
حَوْلَ الْمَرْكَزِ عِدَّةَ دَوَائِرَ ، وَعِنْدَمَا كَادَ يَنْتَهِي مِنْهَا أَخَذَ يَجْعَلُ مِنْ
خُيُوطِهِ شَيْئًا لَزِجًا ؛ لِيَلْتَصِقَ بِهَا الذُّبَابُ .

كُلُّ ذَلِكَ دُونَ أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ ، أَوْ تَتَنَبَّهَ إِلَيْهِ رَبَّةُ الْبَيْتِ . إِنَّهُ بَارِعٌ
إِلَى دَرَجَةِ رَائِعَةٍ ، وَقَدْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ فِي فَجْرِ تَارِيخِهِ كَيْفَ يَنْسِجُ ،
كَمَا عَلَّمَهُ الْخُفَّاشُ وَسِيلَةَ صَنْعِ الرَّادَارِ .

الْوَحِيدُ الَّذِي لَمَحَ الْعَنْكَبُوتَ صُرُورُ ضَخْمٍ ، أَخَذَ يَتَمَشَّى
فِي أَرْجَاءِ الْمَطْبَخِ ، وَمَضَى زَاحِفًا فَوْقَ الْحَائِطِ ، وَصُورًا إِلَى بَيْتِ
الْعَنْكَبُوتِ ، وَقَالَ لَهُ :

- لَقَدْ أَخْطَأْتَ فِي اخْتِيَارِ مَكَانِ بَيْتِكَ !
 - بَلْ هُنَا أَنْسَبُ مَكَانٍ لَهُ .
 - لَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ إِذَا مَا هُدِمَ بَيْتُكَ !
 - مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى أَنْ يَصْنَعَ ذَلِكَ؟
 قَالَ الصُّرْصُورُ فِي هُدُوءٍ :
 - يَبْدُو أَنَّ الْمَخْلُوقَاتِ تَزْدَادُ عُنْفًا وَشَرَّاسَةً كُلَّمَا قَلَّتْ أَعْدَادُ
 أَرْجُلِهَا . إِنَّنِي أَرَاكَ طَيِّبًا وَرَقِيقًا ، وَرَبِّمَا كَانَ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّ لَكَ ثَمَانِيَّ
 أَرْجُلًا ، أَوْ أَرْبَعَةَ أَزْوَاجٍ مِنْهَا ، أَمَّا أَنَا فَإِنِّي ذُو سِتِّ أَرْجُلٍ ، أَيْ :
 ثَلَاثَةَ أَزْوَاجٍ مِنْهَا ؛ لِذَلِكَ تَرَانِي أَكْثَرَ مِنْكَ قُوَّةً وَأَشَدَّ عُنْفًا .
 - مَا عَلاَقَةُ كُلِّ مَا تَقُولُهُ بِبَيْتِي ؟



– سَتَعْرِفُ لَوْ صَبَرْتَ قَلِيلًا . اُنْظُرْ إِلَى الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي لَهَا أَرْبَعُ
أَرْجُلٍ ، سَوْفَ تَجِدُهَا أَقْوَى وَأَعْنَفَ .

– قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ صَحِيحًا .

– أَمَّا ذَلِكَ الْمَخْلُوقُ الَّذِي لَهُ رِجْلَانِ – وَاسْمُهُ الْإِنْسَانُ – فَهُوَ
أَشَدُّ شَرَاسَةً ، عَلَى رَغْمِ مُحَاوَلَتِهِ أَنْ يَبْدُو مَهَذَّبًا وَرَقِيقًا . إِنَّهُ خَبِيثٌ ،
لَا يُرِيدُ لِبَقِيَّةِ الْمَخْلُوقَاتِ أَنْ تَعِيشَ عَلَى الْأَرْضِ بِجَانِبِهِ ، هُوَ
يُرِيدُهَا لِنَفْسِهِ وَحْدَهُ .

– أَطَلْتَ الْكَلَامَ دُونَ أَنْ أَفْهَمَ مِنْكَ شَيْئًا .

– سَوْفَ تَفْهَمُ كُلَّ شَيْءٍ عِنْدَمَا تَرَكَ رَبُّهُ الْبَيْتَ .

اِسْتَدَارَ الصُّرُورُ ، وَغَادَرَ الْمَكَانَ هَابِطًا عَلَى الْجِدَارِ ، وَصُولاً
إِلَى الْأَرْضِ ، مُنْطَلِقًا ؛ لِيَخْتَفِيَ بَيْنَ الشُّقُوقِ ؛ حَتَّى لَا تَرَاهُ السَّيِّدَةُ
صَاحِبَةُ الْبَيْتِ . وَقَدْ تَكَرَّرَ دُخُولُهَا إِلَى الْمَطْبَخِ دُونَ أَنْ تَلْحَظَ بَيْتَ
الْعَنْكَبُوتِ الَّذِي نَسَجَهُ عِنْدَ السَّقْفِ فِي رُكْنٍ بَيْنَ جِدَارَيْنِ ، لَكِنَّ
ذَلِكَ لَمْ يَسْتَمِرَّ طَوِيلًا ؛ فَقَدْ رَفَعَتْ عَيْنَيْهَا ذَاتَ مَرَّةٍ إِلَى أَعْلَى ،
وِإِذَا بِهَا تَلَمَحَهُ ، فَصَرَخَتْ فِي قَسْوَةٍ وَعَظَبٍ :

– بَيْتُ عَنْكَبُوتٍ فِي مَطْبَخِي ! هَذَا شَيْءٌ فَظِيعٌ . لَنْ أَسْمَحَ لَهُ

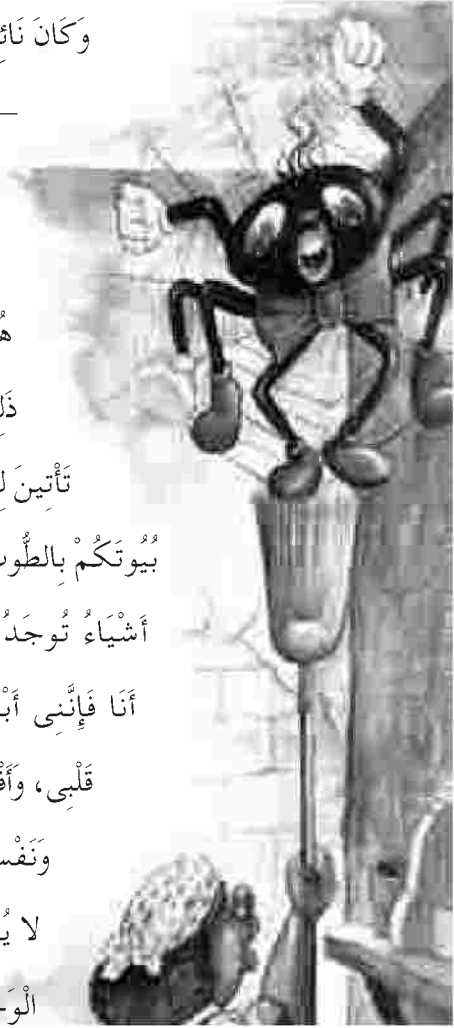
بِالْبَقَاءِ حَيْثُ هُوَ .

اِمْتَدَّتْ يَدُ السَّيِّدَةِ إِلَى مِقْشَةٍ طَوِيلَةِ الْيَدِ ، وَاعْتَلَتْ صُنْدُوقًا
خَشَبِيًّا وَأَخَذَتْ تُمْرُقُ خُيُوطِ الْبَيْتِ بِلَا رَحْمَةٍ؛ فَاسْتَيْقَظَ الْعَنْكَبُوتُ،
وَكَانَ نَائِمًا لِيَسْتَرِيحَ ، وَصَاحَ فِيهَا:

— مَاذَا تَفْعَلِينَ بِي وَبَيْتِي ؟

أَنْتِ تَهْدِمِينَهُ ، أَنْتِ لَا
تَدْرِينَ كَمْ أَجْهَدَنِي أَنْ أَبْنِيَهُ
هُنَا ، عَالِيًا مُرْتَفِعًا ، وَأَرْهَقَنِي
ذَلِكَ إِرْهَاقًا شَدِيدًا ، وَهَآ أَنْتِ

تَأْتِينَ لِكِي تَأْتِي عَلَيْهِ . أَنْتُمْ تَبْنُونَ
بُيُوتَكُمْ بِالطُّوبِ وَالْحَجَرِ وَالْخَشَبِ ، وَهِيَ
أَشْيَاءُ تُوجَدُ بِكَثْرَةٍ مِنْ حَوْلِكُمْ ، أَمَّا
أَنَا فَإِنَّنِي أَبْنِي بَيْتِي مِنْ دَاخِلِي ، مِنْ
قَلْبِي ، وَأَفْرِزُ خُيُوطَهُ مِنْ دَاخِلِ جَسَدِي
وَنَفْسِي ، لِذَلِكَ هُوَ غَالٍ ثَمِينٌ،
لَا يَقْدَرُ بِثَمَنِ . إِنَّنِي الْمَخْلُوقُ
الْوَحِيدُ الَّذِي يَصْنَعُ ذَلِكَ .



نَعَمْ ، تَصْنَعُ الدُّودَةَ لِنَفْسِهَا شَرَنْقَتَهَا ؛ لِمُوتَ فِيهَا ، ثُمَّ تَبْعَثُ
مِنْ جَدِيدٍ فَرَاشَةً مُلَوَّنَةً ، أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُقِيمُ بَيْتِي مُعَرَّضًا لِلْهَوَاءِ
الطَّلَقِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَصْطَادَ لِي طَعَامِي ، فَضْلاً عَنِ
أَنَّهُ يُؤْوِينِي .

لَمْ تُبْدِ رَبَّةُ الْبَيْتِ أَىَّ اهْتِمَامٍ بِكُلِّ مَا قَالَهُ الْعَنْكَبُوتُ ، بَلْ لَمْ
تَسْتَمِعْ إِلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ مِمَّا قَالَهُ ، وَلَوْ أَنَّهَا فَهِمَتْ لُغَتَهُ مَا أَقَامَتْ
وَزناً لِكُلِّ مَا صَرَخَ بِهِ ؛ لِأَنَّهَا تَرَى أَنَّ مَا فَعَلَهُ الْعَنْكَبُوتُ فِي مَطْبَخِهَا
شَيْءٌ قَدِرٌ فَطِيعٌ ، وَلَنْ تَقْبَلَ أَبَداً أَنْ يَبْقَى حَيْثُ هُوَ ؛ لِذَلِكَ لَمْ تَتَوَانَ
فِي هَدْمِهِ وَتَدْمِيرِهِ وَتَشْرِيدِ الْعَنْكَبُوتِ الَّذِي انتَظَرَ إِلَى أَنْ غَادَرَتْ
الْمَطْبَخَ ، وَنَزَلَ يَبْحَثُ عَنْ صَدِيقِهِ الصَّرْصُورِ .

وَقَدْ خَرَجَ إِلَيْهِ الصَّرْصُورُ مِنَ الشَّقِّ ، الَّذِي اخْتَفَى فِيهِ ؛ يَرْقُبُ
مِنْهُ مَا يَحْدُثُ ، وَرَأَى كُلَّ شَيْءٍ .

صَاحَ الْعَنْكَبُوتُ : هَلْ رَأَيْتَ مَا حَاقَ بِي وَبِبَيْتِي ؟

— نَعَمْ ، لَكِنَّكَ أَنْتَ الْمَلُومُ .

— تَرَاهَا تُحَطِّمُ بَيْتِي ، وَتَلُومُنِي أَنَا !

— هَذَا مَا تَسْتَحِقُّهُ ؛ فَأَنْتَ لَمْ تَسْتَمِعْ إِلَى نَصِيحَتِي .

— لَمْ أَتَصَوَّرْ قَطُّ أَنَّ هَذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَحْدُثَ .

— إِنِّنِي آخِرُ مَنْ يُمَكِّنُ أَنْ تَشْكُوَ إِلَيْهِ .

— مَا الْعَمَلُ الْآنَ؟

— يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَبْحَثَ لَكَ عَنْ مَكَانٍ آخَرَ .

— أَيْنَ؟

— فَكِّرْ .

— إِنَّ الْحَدَثَ قَدْ شَلَّ تَفَكِيرِي تَمَامًا .

— لِمَاذَا لَمْ تُفَكِّرْ فِي نَسْجِ خُيُوطِكَ فِي الْحَظِيرَةِ؟

— الْحَظِيرَةُ !

— نَعَمْ ، الْحَيَوَانَاتُ ذَاتُ الْأَرْبَعِ أَرْجُلٍ أَكْثَرُ رَحْمَةً مِنْ هَذَا

الْمَخْلُوقِ الَّذِي لَهُ رِجْلَانِ فَحَسَبُ . اذْهَبْ إِلَيْهَا وَاسْتَأْذِنْهَا أَوَّلًا ،

وَسَتَجِدُ لَدَيْهَا صَدْرًا حَنُونًا ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَسْعَى لِكَيْ تُرَدَّ لَهَا جَمِيلُهَا

بَعْدَ أَنْ تَنْسَجَ بَيْتَكَ عِنْدَهَا .

مَضَى الْعَنْكَبُوتُ إِلَى الْحَظِيرَةِ ، وَكَانَ يَقِفُ بِهَا حِصَانٌ ، يَأْكُلُ

وَجَبَّتَهُ فِي هُدُوءٍ ، وَهُوَ يَهْزُ ذَيْلَهُ فِي ضَيْقٍ طَارِدًا الدُّبَابَ الَّذِي

يُضَايِقُهُ ، وَلَمْ يَهْتَمَّ كَثِيرًا بِالْعَنْكَبُوتِ وَهُوَ يَتَسَلَّلُ إِلَى الْحَظِيرَةِ ،

وَيَسْأَلُهُ إِنْ كَانَ يَسْمَحُ لَهُ بِأَنْ يُقِيمَ بَيْتَهُ فِيهَا ، فَقَالَ الْحِصَانُ :

– الْمَكَانُ يَتَسَعُ لَكَ وَلَنَا . تَفَضَّلْ عَلَى الرَّحْبِ وَالسَّعَةِ .

– شُكْرًا جَزِيلًا لَكَ .

صَعِدَ الْعَنْكَبُوتُ إِلَى رُكْنٍ بَعِيدٍ ، وَأَخَذَ يُخْرِجُ خُيُوطَهُ مِنْ دَاخِلِهِ
وَيَعْمَلُ فِي هِمَّةٍ ، وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ قَائِلًا :

– إِنَّ هَذَا الْمَخْلُوقَ الَّذِي لَيْسَ لَهُ غَيْرُ رَجُلَيْنِ اثْنَتَيْنِ يَغَارُ مِنِّي ؛
لَأَنَّ عِنْدِي ثَمَانِي أَرْجُلٍ ، نَعَمْ ثَمَانِي أَرْجُلٍ ، أَيْ : أَرْبَعَةُ أَزْوَاجٍ
مِنْهَا ، وَلَيْسَ لَدَيْهِ هُوَ غَيْرُ زَوْجٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأَرْجُلِ يَقِفُ عَلَيْهِمَا ،
وَيَسِيرُ ، وَيَرْهَقُهُمَا كَثِيرًا . الصُّرُصُورُ ذُو السِّتِّ أَرْجُلٍ أَكْثَرُ مِنْهُ
حَنَانًا وَرَقَّةً ، وَالْحِصَانُ أَيْضًا .

وَكَأَنَّمَا سَمِعَهُ الْحِصَانُ ، فَقَالَ لَهُ :

– هَلْ تُحِبُّ أَنْ تَأْتِيَ مَعِيَ إِلَى نَزْهَةٍ قَصِيرَةٍ؟

– مَعْدِرَةً ، لَيْتَنِي أَسْتَطِيعُ ! أَنْتَ تَرَانِي مَشْغُولًا بِالْبِنَاءِ .

اسْتَمَرَ الْعَنْكَبُوتُ فِي مُهِمَّتِهِ ، وَعِنْدَمَا نَادَتْهُ الْبَقَرَةُ لِكَيْ يُخْرِجَ
مَعَهَا إِلَى الْمَرْعَى – لَعَلَّهُ يُصِيبُ بَعْضًا مِنَ الْحَشَائِشِ الْخَضِرَاءِ غِذَاءً
لَهُ – اعْتَذَرَ لَهَا ؛ فَلَا وَقْتُ لَدَيْهِ لِذَلِكَ .

وَجَاءَتْهُ دَعْوَةُ أُخْرَى مِنَ الْعَنْزَةِ ؛ لِكَيْ يَذْهَبَ مَعَهَا لِمُشَاهَدَةِ

مُبَارَاةٍ فِي الْمُصَارَعَةِ بِالْقُرُونِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْخُرُوفِ ، فَقَالَ لَهَا :



– كَمْ كُنْتُ أَتَمَنَّى أَنْ أَشْهَدَ هَذِهِ الْمُبَارَاةَ ، لِكِنِّي بِحَاجَةٍ إِلَى
أَنْ أَنْهِيَ بِنَاءَ الْبَيْتِ ، قَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الظَّلَامُ وَاللَّيْلُ؛ لِكَيْ أَجِدَ مَكَانًا
أَنَا مُ فِيهِ .

وَمَضَى يَعْمَلُ وَيَعْمَلُ ، دُونَ أَنْ يُعْطَى لِنَفْسِهِ فُرْصَةً لِرَاحَةٍ ، رُبَّمَا
تُسَلِّمُهُ إِلَى لَحْظَةٍ كَسَلٍ . وَكَانَتْ خُيُوطُ الْبَيْتِ تَتَشَابَكُ فِيمَا بَيْنَهَا ، وَهُوَ
مُنْهَمِكٌ فِي الْعَمَلِ وَالْبِنَاءِ ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَسْمَعْ الْقِطْعَةَ وَهِيَ تُنَادِيهِ قَائِلَةً :
– مَا رَأَيْتُكَ فِي أَنْ تَأْتِيَ لِتَرَانِي أُطَارِدُ فَأَرَأَى؟

وَعِنْدَمَا لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهَا ، مَضَتْ تَمُوءُ فِي شَيْءٍ مِنَ الضَّيِّقِ ؛ فَقَدْ

كَانَتْ تُرِيدُ أَنْ تُرِيَهُ كَمْ هِيَ مَاهِرَةٌ ، وَدَخَلَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ حِمَارٌ
يَنْهَقُ ؛ فَأَزْعَجَ الْعَنْكَبُوتَ وَأَقْلَقَهُ .

قَالَ لَهُ :

– هَلْ لَكَ أَنْ تُخَفِّضَ مِنْ صَوْتِكَ قَلِيلًا؟

قَالَ الْحِمَارُ :

أَيْنَ أَنْتَ يَا مَنْ تَهْمِسُ؟

رَدَّ الْعَنْكَبُوتُ :

هَآنَذَا ، عِنْدَ السَّقْفِ أَبْنَى بَيْتِي .

– آه .. آسِفٌ ، وَاصِلُ عَمَلِكَ ، وَلَنْ يَتَكَرَّرَ مِنِّي ذَلِكَ . لَقَدْ

كُنْتُ أُعْلِنُ وَجُودِي وَقُدُومِي فَقَطْ !

– أَهْلًا وَمَرْحَبًا بِكَ .

وَعِنْدَمَا غَابَ آخِرُ خَيْطٍ مِنْ خُيُوطِ أَشْعَةِ الشَّمْسِ كَانَ الْعَنْكَبُوتُ

يُخْرِجُ آخِرَ خَيْطٍ اكْتَمَلَ بِهِ الْبَيْتُ .

انْتَهَى الْعَنْكَبُوتُ مِنْ نَسْجِ بَيْتِهِ ، وَكَانَ يَبْدُو دَقِيقًا رَقِيقًا أَنْيَقًا ،

وَقَدْ أَخَذَ مِنْ صَاحِبِهِ فِي بِنَائِهِ وَقْتًا طَوِيلًا وَمُرْهَقًا ، وَأَصْبَحَ مِنْ حَقِّهِ

أَنْ يَغْفُو وَيَنعَسَ فِي دَعَةٍ وَهْدُوءٍ ؛ فَقَدْ قَامَ بِمُهِمَّتِهِ فِي هِمَّةٍ وَنَشَاطٍ ؛

لِذَلِكَ اسْتَغْرَقَ فِي نَوْمٍ عَمِيقٍ ، لَمْ يَسْتَيْقِظْ مِنْهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ طَلَعَ

الصَّبَاحُ ، وَاسْتَمْتَعَ بِمُوسِيقَى أَصْوَاتِ كُلِّ حَيَوَانَاتِ الْحَظِيرَةِ : صَهِيلِ

الْحِصَانِ ، وَمَأْمَأَةِ الْخِرَافِ وَالْمَاعِزِ ، وَمُؤَاءِ الْقِطْطَةِ ، وَنُبَاحِ الْكَلْبِ ،
وَتَنَاعُمَتِ كُلِّ هَذِهِ الْأَصْوَاتِ وَلَمْ يُحَاوِلِ الْحِمَارُ النَّهْيَقَ ؛ حَتَّى لَا
يُزْعِجَ الضَّيْفَ الْقَادِمَ عَلَيْهِمْ .

وَجَاءَ صَاحِبُ الْحَظِيرَةِ يُخْرِجُ حَيَوَانَاتَهَا ؛ لِيُؤَدِّيَ كُلُّ مِنْهَا دَوْرَهُ ،
وَيَقُومَ بِوَاجِبِهِ ؛ فَمَا مِنْ مَخْلُوقٍ إِلَّا عَلَيْهِ مَسْئُولِيَّةٌ يَجِبُ أَنْ يَنْهَضَ
بِهَا بِإِخْلَاصٍ . إِنَّ الْعَنْكَبُوتَ يَعْرِفُ هَذَا جَيِّدًا ؛ لِذَلِكَ فَتَحَ عَيْنَيْهِ
وَسَأَلَ نَفْسَهُ :

— مَا الَّذِي يُمَكِّنُنِي أَنْ أَنْهَضَ بِهِ مَعَهُمْ ؟ وَكَيْفَ أَرُدُّ لَهُمْ جَمِيلَهُمْ
وَحُسْنَ اسْتِقْبَالِهِمْ ؟

لَقَدْ تَذَكَّرَ كَيْفَ كَانَ الْحِصَانُ ضَيِّقَ الصَّدْرِ بِالدُّبَابِ حِينَ دَخَلَ
عَلَيْهِ ، وَلَمَحَهُ يُبْعِدُهُ عَنْهُ بِذَيْلِهِ ، لَكِنَّهُ كَانَ مُضْطَرًّا إِلَى أَنْ يَهْزُ
رَأْسَهُ ؛ لِيَطْرُدَهُ عَنْ وَجْهِهِ ؛ الْأَمْرُ الَّذِي لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَجْهَدَهُ ؛
إِنَّهُ يَهْتَزُّ رَأْسًا وَذَيْلًا . وَقَدْ أَرْعَجَهُ طَيْنُ الدُّبَابِ ، وَلَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ
يَقْتَصِرُ عَلَى ذَلِكَ إِذْ إِنَّ الْعَنْكَبُوتَ قَدْ سَمِعَ بِمَا تَنَقَّلُهُ هَذِهِ الْحَشَرَةُ
مِنْ جَرَائِمٍ وَأَمْرَاضٍ لِلْمَخْلُوقَاتِ ، وَفَجَأَةً تَذَكَّرَ الْعَنْكَبُوتُ أَنَّهُ جَائِعٌ ،
وَلَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ الْفُرْصَةُ بِالْأَمْسِ لِكَيْ يَتَنَاوَلَ طَعَامَهُ ، وَتَنَبَّهَ إِلَى أَنَّهُ
قَدْ جَاءَ إِلَى الْمَكَانِ الصَّحِيحِ وَالْمُنَاسِبِ تَمَامًا لِبِنَاءِ بَيْتِهِ ؛ إِذْ اكْتَشَفَ
أَنَّ الْمَكَانَ يَعْجُ بِذُبَابٍ كَثِيرٍ كَثِيفٍ ، وَهُنَا ابْتَسَمَ فِي رِضًا وَقَالَ :

— آه .. هَذِهِ هِيَ مُهِمَّتِي الْجَلِيلَةُ .

— وَعِنْدَمَا عَادَتْ حَيَوَانَاتُ الْحَظِيرَةِ ظَهَرًا كَأَنَّهُ تَنْتَظِرُهَا مُفَاجَأَةً سَارَةً وَلَطِيفَةً .

لَقَدْ اسْتَطَاعَ الْعَنْكَبُوتُ أَنْ يُخَلِّصَ الْمَكَانَ مِنَ الْكَثِيرِ مِنَ الذُّبَابِ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَنَبَّهَ لِذَلِكَ الْحِصَانُ ؛ إِذْ أَحَسَّ أَنَّهُ لَيْسَ فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَهْزَ ذَبْلَهُ وَرَأْسَهُ مِنْ أَجْلِ طَرْدِ الذُّبَابِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فِي ابْتِهَاجٍ وَتَطَلَّعَ إِلَى الْعَنْكَبُوتِ ، وَقَالَ :

— أَهْلًا بِكَ صَدِيقًا رَائِعًا ، شُكْرًا جَدًّا لَكَ عَلَى طَرْدِ هَذِهِ الْحَشَرَةِ اللَّعِينَةِ .

— عَفْوًا ، هَذَا أَقَلُّ وَاجِبٍ أَقُومُ بِهِ نَحْوَكُمْ .

عَقَّبَ الْحِمَارُ قَائِلًا :

— يَسْتَطِيعُ الذُّبَابُ أَنْ يَذْهَبَ بَعِيدًا عَنَّا ؛

يُمْكِنُهُ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى الْمَطْبَخِ ، إِذَا شَاءَ .

وَضَحِكَتْ كُلُّ الْحَيَوَانَاتِ .

الصيَّادُ

حَمَلَ الصَّيَّادُ شَبَكَتَهُ ، وَمَضَى - كَالْمُعْتَادِ - نَحْوَ الْبَحْرِ ، وَاخْتَارَ
مَكَانًا يَعْرِفُ أَنَّهُ مَأْوَى لِلْأَسْمَاكِ ، وَنَصَبَ الشَّبَكَةَ فِي هُدُوءٍ وَهُوَ
يَتَرَنَّمُ بِأُغْنِيَّاتٍ جَمِيلَةٍ ، فِيهَا أُمْنِيَّاتٌ طَيِّبَةٌ بِأَنْ تَنْجَحَ فِي مُهِمَّتِهَا ،
وَتَلْتَقِطَ لَهُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأَسْمَاكِ ، وَتَحْتَفِظَ بِهَا إِلَى أَنْ يَعُودَ إِلَيْهَا
فِي الْيَوْمِ التَّالِي .

رَجَعَ الصَّيَّادُ ، وَكَانَتْ تَنْتَظِرُهُ مُفَاجَأَةً قَاسِيَةً ؛ إِذْ لَمْ يَجِدْ فِي
الشَّبَكَةِ سَمَكَةً وَاحِدَةً ، وَشَعَرَ بِحُزْنٍ عَمِيقٍ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَسْلِمَ ،
وَنَقَلَ الشَّبَكَةَ إِلَى مَكَانٍ قَرِيبٍ ، وَهُوَ يَرْجُو أَلَّا يَتَكَرَّرَ مَعَهُ مَا حَدَثَ ،
خَاصَّةً أَنَّ زَوْجَتَهُ قَدْ عَاتَبَتْهُ عِتَابًا مُرًّا ، وَقَالَتْ :

- مِنْ أَيْنَ نَأْكُلُ إِذَا كُنْتَ تَرْجِعُ إِلَيْنَا بِدُونِ صَيْدٍ ؟!

- لَسْتُ أَدْرِي - بِحَقٍّ - مَاذَا حَدَثَ ؟

- لَا بُدَّ لَكَ مِنْ أَنْ تَقُومَ بِحِرَاسَةِ شَبَكَتِكَ .

- نَحْنُ لَا نَفْعَلُ هَذَا ؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا أَمَانٌ وَالنَّاسَ شَرَفَاءُ .

- لَقَدْ تَغَيَّرَ حَالُهُمْ ، وَلَمْ يَعُودُوا كَمَا كَانُوا !

وَعِنْدَمَا ذَهَبَ الصَّيَّادُ فِي الْيَوْمِ التَّالِي إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ وَجَدَ

الشَّبَكَةُ خَالِيَةٌ تَمَامًا ؛ فَغَضِبَ بِشِدَّةٍ ، وَلَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ غَيْرُ أَنْ
يَسْتَجِيبَ لِمَا طَلَبَتْهُ زَوْجَتُهُ ، وَهُوَ أَنْ يَحْرُسَ الشَّبَكَةَ ؛ لِيَعْرِفَ مَنْ
هَذَا الْآثِمُ الَّذِي تَمَتَّدُ يَدُهُ إِلَى مَا لَيْسَ لَهُ ، وَ يُحِلُّ لِنَفْسِهِ رِزْقَ
غَيْرِهِ .

اِخْتَفَى الصَّيَّادُ وَرَاءَ شَجَرَةٍ ضَخْمَةٍ ، وَاخْتَبَأَ وَسَطَ بَعْضِ الْحَشَائِشِ
النَّامِيَةِ ، وَقَدْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَأَخَذَ يَرْقُبُ الشَّبَكَةَ حَيْثُ وَضَعَهَا ،
وَبَقِيَ طَوِيلًا إِلَى أَنْ طَلَعَ الْقَمَرُ عَلَى الدُّنْيَا بِلَوْنِهِ الْفِضِّيِّ الْجَمِيلِ ،
وَكَسَا بِهِ صَفْحَةَ الْمَاءِ ، وَانْعَكَسَ مِنْ عَلَيْهِ بَهِيًّا رَائِعًا ، وَالْهُدُوءُ
يَسُودُ الدُّنْيَا ، فَمَا مِنْ شَيْءٍ غَيْرِ أَمْوَاجِ الْمِيَاهِ تَتَكَسَّرُ عَلَى الشَّاطِئِ ،
وَهَمْسِ الرِّيَّاحِ وَتَحَرُّكِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ .



وَعَلَى حِينٍ غَفَلَةً ظَهَرَ شَبَحٌ ، مَعَالِمُهُ غَيْرُ وَاضِحَةٍ ، لَكِنَّهُ كَانَ
يَتَلَفَّتُ يَمِينًا وَيَسَارًا؛ يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَكْشِفَ الْمَكَانَ ، وَهُوَ يَخْطُو
فِي حَذَرٍ شَدِيدٍ نَاحِيَةَ الشَّبَكَةِ الْمَنْصُوبَةِ ، وَفِي يَدِهِ كَيْسٌ كَبِيرٌ
أَخَذَ يَضَعُ فِيهِ السَّمَكَ وَيُعْنَى :

مَا أَكْثَرَ أَسْمَاكَ الْبَحْرَ ! ..

الشَّبَكَةُ مَلِيعَةٌ بِالْخَيْرِ ..

يَضُؤِي تَحْتَ نُورِ الْقَمَرِ ..



أَنَا مَحْظُوظٌ هَذَا الْفَجْرُ ! .

لَمْ يَكُنْ جَمِيلَ الصَّوْتِ ، غَيْرَ أَنَّ أَمْوَاجَ الْبَحْرِ كَانَتْ كَالْمُوسِيقَى
تُصَاحِبُ كَلِمَاتِهِ السَّادِجَةَ ، وَهُوَ يَنْقُلُ السَّمَكَ مِنَ الشَّبَكِ إِلَى
الْكَيْسِ .

وَوَظَّهَرَ لَهُ الصَّيَّادُ مِنْ مَخْبِئِهِ خَلْفَ الشَّجَرَةِ ، وَتَقَدَّمَ نَحْوَهُ فِي
غَيْظٍ شَدِيدٍ .

صَاحَ الصَّيَّادُ ، وَهُوَ يَقْتَرِبُ مِنَ الرَّجُلِ :

— هَلْ هَذِهِ الشَّبَكَةُ لَكَ ؟

تَوَقَّفَ الرَّجُلُ عَمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ مُرْتَبِكًا .

— كَيْفَ تَأْخُذُ مَا هُوَ لَيْسَ لَكَ ؟

تَرَكَ الرَّجُلُ الْكَيْسَ يَسْقُطُ مِنْ يَدِهِ فِي الْمَاءِ ، وَبَدَأَ يَسْبَحُ مُبْتَعِدًا ،
وَالصَّيَّادُ يُحَاوِلُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ ذَلِكَ ؛ إِذِ
اخْتَفَى تَحْتَ الْمَاءِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ اقْتِفَاءُ أَثَرِهِ ، وَظَلَّ يَعمُومُ
إِلَى أَنْ أَفْلَتَ بِنَفْسِهِ ، وَفَرَّ إِلَى مَكَانٍ بَعِيدٍ .

أَخَذَ الصَّيَّادُ الشَّبَكَةَ ، وَبَدَأَ يَسْتَعِدُّ لِمُغَادَرَةِ الْمَكَانِ ، وَفَجْأَةً
لَمَحَ مَلَابِسَ الرَّجُلِ وَبِجَانِبِهَا سَلَّةٌ كَبِيرَةٌ ، وَسَكِّينٌ ضَخْمٌ . كَانَ
الرَّجُلُ قَدْ تَرَكَهَا عِنْدَ الشَّاطِئِ ، وَانْتَهَزَ الصَّيَّادُ الْفُرْصَةَ وَحَمَلَهَا مَعَهُ
إِلَى الْبَيْتِ ، وَرَأَى فِي ذَلِكَ عِقَابًا لِلرَّجُلِ عَلَى فِعْلَتِهِ .



وَعِنْدَمَا رَجَعَ حَكِي لِزَوْجَتِهِ مَا حَدَثَ ، فَقَالَتْ لَهُ :

– كَيْفَ تَتْرُكُهُ يَا رَجُلُ يَهْرَبُ مِنْكَ؟

– لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ أَلْحَقَ بِهِ ، وَالْأَمْوَاجُ تُخَفِّيه عَنْ بَصَرِي .

– وَمَا هَذِهِ الْمَلَابِيسُ ، وَتِلْكَ السَّلَّةُ وَالسَّكِّينُ؟

– هِيَ أَشْيَاؤُهُ الَّتِي تَرَكَهَا .

– إِنَّهَا لَا تُسَاوِي شَيْئًا مُقَابِلَ اسْتِیْلَائِهِ عَلَى صَيْدِكَ الْوَفِيرِ .

– قَدْ نَسْتَدِلُّ مِنْهَا عَلَيْهِ .

– هَذِهِ فِكْرَةٌ مَعْقُولَةٌ .

تَعَشَّى الصَّيَّادُ وَزَوَّجَتْهُ وَأَوْلَاذُهُ مِمَّا عَثَرَ عَلَيْهِ فِي الشَّبَكَةِ ، وَمَا
تَبَقَّى فِيهَا ، وَنَامُوا فِي هُدُوءٍ وَسَكِينَةٍ ، وَفَجْأَةً فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ ،
سَمِعَ دَقَّ عَنيفٌ عَلَى طَبْلَةٍ ، وَصَوْتُ رَجُلٍ يَصْرُخُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ :
- أَيُّهَا الصَّيَّادُ أَعِدْ إِلَيَّ ثِيَابِي وَسَلِّتِي وَسَكِينِي .

اسْتَيْقَظَ الصَّيَّادُ وَأَسْرَتَهُ عَلَى دَقَّاتِ الطُّبُولِ ، وَعَلَا صَرِيخُ الرَّجُلِ ،
وَقَدْ أَهَالَتْهُمْ صَفَاقَتُهُ وَوَقَّاحَتُهُ ؛ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ بِنَفْسِهِ لِيَفْضَحَ فِعْلَتَهُ ،
فَمَا كَانَ مِنَ الصَّيَّادِ إِلَّا أَنْ فَتَحَ النَّافِذَةَ ، وَقَالَ لَهُ :
- أَعِدْ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَسْمَاكِ أَرْجِعْ إِلَيْكَ حَاجَاتِكَ .

صَرَخَ الرَّجُلُ :

- لَنْ أَدْعَكُمْ تَنَامُونَ إِذَا لَمْ تَرُدُّوا لِي أَشْيَائِي !

وَعَادَ يَدُقُّ الطَّبْلَةَ .

خَرَجَ إِلَيْهِ الصَّيَّادُ يَحْمِلُ سَوْطًا ، وَأَخَذَ يُفْتَشُّ عَنْهُ ، وَإِذَا بِهِ
وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ أَمَامَهُ ! .. فَعَادَ إِلَى الْبَيْتِ . وَلَمْ تَمُرَّ غَيْرُ لَحْظَاتٍ
قَصِيرَةٍ وَعَادَ دَقُّ الطَّبْلَةِ عَالِيًا يَكَادُ يُصِمُّ الْأَذَانَ .

وَتَوَسَّلَ الصَّغَارُ أَبْنَاءَ الصَّيَّادِ إِلَى أَبِيهِمْ أَنْ يُلْقِيَ لَهُ بِأَشْيَائِهِ ، لَكِنَّهُ
رَفَضَ ، وَقَالَ :

- لَنْ أُعِيدَهَا إِلَيْهِ إِلَّا إِذَا عَوَّضَنِي عَمَّا أَخَذَهُ مِنْ أَسْمَاكِ مِنْ
شَبَكَتِي .

عِنْدَمَا عَمَّ النُّورُ الدُّنْيَا ، خَرَجَ الصَّيَّادُ مِنْ دَارِهِ مُتَعَبًا مُرْهَقًا ،
يُفْتَشُّ عَنْ صَاحِبِ الْمَلَابِسِ ، وَحَمَلَهَا مَعَهُ ؛ لَعَلَّهُ يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَيْهِ ،
وَأَخَذَ يَسْأَلُ كُلَّ مَنْ يُقَابِلُهُ :

— هَلْ تَعْرِفُ صَاحِبَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ؟

كَانَتْ الْإِجَابَةُ بِاسْتِمْرَارٍ : لَا ، لَكِنَّ عَجُوزًا تَطْلُعُ إِلَى الشَّيْبِ ،
وَنَظَرَ إِلَى السَّلَّةِ وَأَمْسَكَ بِالسُّكَّيْنِ ، وَقَالَ :

— إِذَا أَنْتَ أَعْطَيْتَنِي هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، فَسَادُكَ عَلَى صَاحِبِهَا .

قَالَ الصَّيَّادُ : إِنَّ لِي فِي ذِمَّتِهِ صَيْدَ عِدَّةِ أَيَّامٍ !

— سَأَعُوضُكَ عَنْهَا .

— مَاذَا سَتُعْطِينِي فِي مُقَابِلِهَا ؟

— سَأُعْطِيكَ هَذَا الْجُوَالِقَ (الشَّوَالِ) ، وَذَاكَ الْحَبْلَ ، وَهَذِهِ الْبَلْطَةُ .



— مَا قِيمَتُهَا ؟

— سَوْفَ تُدْرِكُ مَا فِيهَا مِنْ سِحْرِ بِمُضِيِّ الْوَقْتِ .

قَبْلَ الصَّيَّادِ الصَّفْقَةِ ، وَأَعْطَى لِلْعَجُوزِ الثَّيَابَ وَالسَّلَّةَ وَالسَّكِّينَ ،
وَحَمَلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ ، وَهُوَ يَقُولُ لِلْعَجُوزِ :

— أَرْجُوكَ أَنْ تَمْنَعَهُ مِنَ الْقُدُومِ إِلَى بَيْتِي وَدَقِّ طَبْلَتِهِ وَالصَّرَاحِ ،
وَهُوَ يَطْلُبُ أَشْيَاءَهُ .

— اِطْمَئِنَّ ، لَنْ يَأْتِيكَ مَرَّةً أُخْرَى .

حَمَلَ الصَّيَّادُ مَا مَنَحَهُ إِيَّاهُ الْعَجُوزُ ، وَكَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّ
زَوْجَتَهُ سَوْفَ تَسْخَطُ عَلَيْهِ ، وَتَتَشَاوَرُ مَعَهُ ، وَتَقُولُ لَهُ :

— أَنْتَ دَائِمًا تَتَهَاوَنُ فِي حَقِّكَ !

— إِنِّي أَدْفَعُ ثَمَنَ تَخْلُصِي مِمَّا يُحْدِثُهُ الرَّجُلُ مِنْ ضَجِيجٍ .

— وَلَكِنَّكَ لَمْ تَحْصُلْ عَلَى ثَمَنِ السَّمَكِ !



وَمَعَ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ كَانَتْ هُنَاكَ مُفَاجَأَتٌ مُذْهِلَةٌ تَنْتَظِرُ أُسْرَةَ الصَّيَّادِ ؛ إِذْ كَانَ مَا مَنَحَهُ إِيَّاهُ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ أَشْيَاءَ سِحْرِيَّةً .
اِكْتَشَفَتِ الْأُسْرَةَ أَنَّ الْجُوالِقَ يَمْتَلِئُ كُلَّ صَبَاحٍ بِالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ
وَالْمَجُوهَرَاتِ .

وَأَذْهَلَهَا أَنَّ الْحَبَلَ تُصْبِحُ فِي آخِرِهِ بَقْرَةٌ كُلَّ يَوْمٍ ، يَحْلُبُونَهَا، وَيَوْمًا
بَعْدَ يَوْمٍ أَصْبَحَ لَدَيْهِمْ قَطِيعٌ كَبِيرٌ . أَمَّا الْبَلَطَةُ ، فَإِنَّهَا عِنْدَمَا كَانُوا
يَحْمِلُونَهَا إِلَى الْغَابَةِ ، كَانَتْ تَطِيرُ وَحْدَهَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ ؛ لِكَيْ
تَكْسِرَ لَهُمْ أَغْصَانَ الشَّجَرِ ؛ لِيَحْمِلُوا لِلْبَيْتِ خَشَبًا يُوقِدُونَهُ لِلدَّفْءِ
وَطَهْرِ الطَّعَامِ .

وَيَقُولُونَ فِي « نَيْجِيرِيَا » : إِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الثَّلَاثَةَ الْمَسْحُورَةَ ،
مَا زَالَتْ مَوْجُودَةً إِلَى يَوْمِنَا هَذَا ، وَإِنَّ الْقَبَائِلَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي تَصْنَعُ
الْخَيْرَ وَتَكْفُ عَنْ الْحُرُوبِ ، تَحْصُلُ عَلَيْهَا .. كَيْفَ ؟
لَا أَحَدٌ يَدْرِي !

الشمس والقمر

فِي الْمَاضِي الْبَعِيدِ ، الْبَعِيدِ جَدًّا ، كَانَتْ « الشَّمْسُ » تَعِيشُ عَلَى الْأَرْضِ ، مِثْلَمَا يَعِيشُ عَلَيْهَا « الْبَحْرُ » . وَقَدْ تَعَوَّدَتِ الشَّمْسُ بَيْنَ حَيْنٍ وَآخَرَ عَلَى زِيَارَتِهِ ، وَرُبَّمَا أَطَالَتْ الْمُكُوثَ لَدَيْهِ ، تَتَبَادَلُ مَعَهُ الْحَدِيثَ الْمُتَمَعِّعَ ، وَيَتَنَاقِلَانِ أَخْبَارَ هَذَا الْكُونِ الَّذِي كَانَ مَا يَزَالُ وَلِيدًا صَغِيرًا ، لَكِنَّهَا تَنَبَّهَتْ إِلَى أَمْرِ صَارَحَتْ بِهِ صَدِيقَهَا الْبَحْرُ :

– لَقَدْ تَكَرَّرَتْ زِيَارَتِي لَكَ !

– إِنَّهُ كَرَمٌ مِنْكَ بِدُونِ شَكٍّ !

– لَكِنَّكَ لَمْ تَرُدَّ الزِّيَارَةَ قَطُّ .

– ظُرُوفِي تَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ ، مَعَ الْأَسْفِ الشَّدِيدِ !

– أَيْ ظُرُوفِ تَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَدَاءِ هَذَا الْوَاجِبِ ؟



— إِنِّي كَبِيرٌ وَاسِعٌ مُتْرَامِي الْأَطْرَافِ ، ثُمَّ إِنَّ عِنْدِي أَبْنَاءً وَأَحْيَاءَ
وَمَخْلُوقَاتٍ كَثِيرَةً ؛ مِنْ حَيْثَانِ وَأَسْمَاكِ وَطُيُورٍ وَسَبَاعٍ ، وَ ... لَا
أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتْرَكَهَا ، كَمَا أَنَّ بَيْتَكَ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَسَعَهَا .
قَالَتْ الشَّمْسُ : عَذْرُكَ هَذَا مَقْبُولٌ ،

وَلَيْسَ أَمَامِي إِلَّا أَنْ أَقُومَ بِنَاءَ بَيْتٍ كَبِيرٍ
ضَخْمٍ ، يَتَّسِعُ لِلْأَصْدِقَاءِ الْقَادِمِينَ
لِزِيَارَتِي ، بِأَعْدَادٍ كَبِيرَةٍ ؛ وَبِذَلِكَ
لَا يَكُونُ لَكَ عَذْرٌ تُبَرِّرُ بِهِ عَدَمَ
زِيَارَتِكَ لِي .

قَالَ الْبَحْرُ : شُكْرًا عَلَى دَعْوَتِكَ
الْكَرِيمَةِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ نُلَبِّيَهَا ، وَنَسْعَدَ
بِوُجُودِنَا فِي قَصْرِكَ الْكَبِيرِ .
بَدَأَتِ الشَّمْسُ تَبْنِي الْبَيْتَ ،
يُعَاوَنُهَا فِي ذَلِكَ الْقَمَرُ
، زَوْجُهَا الْمُخْلِصُ ، وَكَانَا
يَرْغَبَانِ فِي أَنْ يَزُورَهُمَا
« الْبَحْرُ » وَأَعْوَانُهُ وَأَصْحَابُهُ ؛

لِذَلِكَ قَامَا مَعًا يُشِيدَانِ بَيْتًا كَبِيرًا مُتَّسِعًا ؛ كَيْ يَسْتَقْبِلَا فِيهِ
الضَيْفَ وَاتِّبَاعَهُ ، كَالْحُوتِ وَالْدَرْفِيلِ ، ثُمَّ قَدَمَا لَهُ الدَّعْوَةُ ؛ لِيَتَفَضَّلَ
عَلَيْهِمَا بِالزِّيَارَةِ ، فَسَالَ :

— هَلِ الْبَيْتُ آمِنٌ ، وَيَكْفِينَا ؟

— نَعَمْ .

— شُكْرًا عَلَى مَا تَتَمَتَّعَانِ بِهِ مِنْ نُبْلِ وَفَضْلِ .

— الْمِيَاهُ تَسْتَحِقُّ مِنَّا كُلَّ التَّقْدِيرِ ؛ فَهِيَ أَصْلُ الْحَيَاةِ .

— مَا مِنْ أَحَدٍ يُنْكِرُ فَضْلَكَ يَا شَمْسُ عَلَى الْحَيَاةِ .

— هَيَّا ، تَعَالَ يَا بَحْرُ ، إِنَّنَا فِي انْتِظَارِكَ .

وَتَبَدُّوا الْمِيَاهُ فِي التَّدْفُقِ ؛ أَمْوَاجًا إِثْرَ أَمْوَاجٍ ، حَامِلَةً مَعَهَا كُلَّ
الْأَحْيَاءِ وَالْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تَعِيشُ فِي الْبَحْرِ ؛ لِيَدْخُلَ بَيْتَ الشَّمْسِ
وَالْقَمَرِ ، وَأَخَذَتْ تَعْلُو .. وَتَعْلُو .. وَتَعْلُو ، حَتَّى مَا عَادَ هُنَاكَ مَكَانٌ
لِصَاحِبِي الْمَنْزِلِ ؛ لِذَلِكَ أَخَذَا يَصْعَدَانِ إِلَى سَطْحِ الْبَيْتِ ، وَهُمَا
خَجُولَانِ ، فَمَا كَانَا يَتَصَوَّرَانِ أَنْ يَضِيقَ بِهِمَا الْبَيْتُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ .
وَبَدَأَتْ الْمِيَاهُ تَغْمُرُ كُلَّ أَرْجَاءِ الدَّارِ ، وَوَصَلَتْ سَقْفَهُ وَتَجَاوَزَتْهُ
ارْتِفَاعًا إِلَى السَّطْحِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يُرَحِّبَانِ بِالْوَافِدِ الضَّيْفِ ،
وَاضْطُرًّا إِلَى مُغَادَرَةِ الْمَكَانِ وَالصُّعُودِ إِلَى أَعْلَى .. إِلَى أَعْلَى ..
إِلَى أَعْلَى .

لَمْ يَعُدْ لِلشَّمْسِ وَالْقَمَرِ مَكَانٌ عَلَى سَطْحِ الْأَرْضِ ؛ لِأَنَّ الْبَحْرَ
اِحْتَلَّ بَيْتَهُمَا ، رَغْمَ اتِّسَاعِهِ ، وَسَكَنَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ فِي السَّمَاءِ
الزَّرْقَاءِ ، وَاسْتَقَرَّا فِيهَا ؛ لِيَتَطَّلَعَ إِلَيْهِمَا النَّاسُ ، وَلِيَتَذَكَّرُوا مَدَى
كَرَمِهِمَا وَجُودِهِمَا .

وَكَانَتِ الشَّمْسُ خِلَالَ النَّهَارِ تَفْرِشُ مِيَاهَ الْبَحْرِ بِنُورِهَا ، وَتَمُدُّهُ
بِالدَّفْءِ وَالْحَرَارَةِ ، وَكَانَتْ هَذِهِ بِدَوْرَهَا تَقُومُ بِتَحْوِيلِ بَعْضِ الْمِيَاهِ
إِلَى بُخَارٍ يَصْعَدُ إِلَى أَعْلَى لِرَغْبَتِهِ فِي زِيَارَةِ الشَّمْسِ ، حَيْثُ هِيَ
فِي سَمَائِهَا .

وَكَانَ الْقَمَرُ لَيْلاً يُغْطِي سَطْحَ الْمِيَاهِ بِضَوْءٍ فَضِيٍّ جَمِيلٍ ، يَلْمَعُ
وَيَتَأَلَّقُ ، وَكَانَ الْبَحْرُ بِدَوْرِهِ يَعْكِسُ هَذَا الضِّيَاءَ لِيَتَجَمَّلَ بِهِ كَوَكَبٌ
الْأَرْضِ كُلُّهُ .

إِنَّ الصَّلَةَ بَيْنَ الْبَحْرِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لَمْ تَنْقَطِعْ قَطُّ مِنْذُ صُعُودِهِمَا
إِلَى السَّمَاءِ .

لَقَدْ بَقِيَتْ عِلَاقَةُ الصَّدَاقَةِ قَائِمَةً أَبَدَ الْآبَادِ .
وَيَقُولُ الْأَفَارِقَةُ :

إِذَا كَانَ هَذَا يَحْدُثُ بَيْنَ هَذِهِ الْجَمَادَاتِ ، فَيَجْدُرُ بِهِ أَنْ يَقَعَ
بَيْنَ الْبَشَرِ ، أَصْحَابِ الْعُقُولِ الذِّكِّيَّةِ !

الْكُلُّ يَتَكَلَّمُ

الْوَقْتُ : صَيْفٌ .

الشَّمْسُ تُرْسِلُ أَشْعَتَهَا النَّارِيَّةَ عَلَى الْحَقْلِ الصَّغِيرِ ، وَصَاحِبِهِ ،
وَقَدْ أَخَذَ يَحْفَرُ الْأَرْضَ بِفَأْسِهِ ؛ لِيَسِرَّ لِنَفْسِهِ اقْتِلَاعَ الْبَصْلِ وَالْجَزْرِ ،
وَكَانَ قَدْ نَسِيَهُمَا طَوِيلًا ، وَلَوْلَا عِنَايَةُ السَّمَاءِ بِهِمَا وَمَا بَعَثَتْ بِهِ
مِنْ غَيْثٍ ، مَا نَبَتَا ، وَأَطْلَتْ شَوَاشِيَهُمَا الْخَضِرَاءُ مِنْ بَاطِنِ التُّرْبَةِ .
لَقَدْ غَفَلَ عَنْهَا ، وَلَمْ يُنَقِّ مِنْ حَوْلِهَا الْحَشَائِشَ الْعَشَوَائِيَّةَ الْبَرِّيَّةَ
الَّتِي قَاسَمَتْهَا طَعَامَهَا وَضَوْءَ الشَّمْسِ ، وَمَا إِنْ فَتَحَتْ الْجَزْرَةَ عَيْنَيْهَا
عَلَى النُّورِ ، حَتَّى قَالَتْ لَهُ مُعَاتِبَةً :

— آه .. هَا قَدْ تَذَكَّرْتَنَا أَخِيرًا . جِئْتُ لِلْحَصَادِ !

تَلَفَّتِ الْفَلَّاحُ مِنْ حَوْلِهِ بَاحِثًا عَمَّنْ يَتَكَلَّمُ ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا ؛
فَازْدَادَ دَهْشَةً عَلَى دَهْشِهِ ، وَتَطَّلَعَ إِلَى الْبَقَرَةِ الَّتِي كَانَتْ تَقِفُ بِجَانِبِهِ
وَهِيَ تَجْتَرُّ طَعَامَهَا ، وَسَأَلَهَا :

— هَلْ أَنْتِ الَّتِي تَكَلَّمْتِ ؟

لَمْ تَرُدَّ الْبَقَرَةُ ؛ فَقَدْ كَانَ فَمُهَا مُمْتَلَأًا بِالطَّعَامِ ، وَقَدْ دَرَبَتْ نَفْسَهَا
عَلَى أَلَّا تَتَكَلَّمَ أَثْنَاءَ ذَلِكَ ؛ إِذْ يَتَطَايَرُ مِنْهَا رَدَاذٌ يُصِيبُ مَنْ حَوْلَهَا ،
لَكِنَّ صَوْتًا ارْتَفَعَ ؛ لِيَرُدَّ عَلَى الْفَلَّاحِ قَائِلًا :

— لَمْ تَكُنِ الْبَقَرَةُ هِيَ الْمُتَحَدِّثَةُ إِلَيْكَ ، وَإِنَّمَا هِيَ الْجَزْرَةُ الَّتِي

- اَقْتَلَعَتْهَا مِنَ الْأَرْضِ .
- نَظَرَ الْفَلَّاحُ مُصْعَوْقًا إِلَى عَنَزَةٍ تَقِفُ بِجَانِبِ الْبَقَرَةِ ، وَسَأَلَهَا :
- هَلْ تَكَلَّمْتَ يَا عَنزَتِي الْعَزِيزَةَ؟
- مَنْ تَظُنُّ تَكَلَّمَ غَيْرَهَا ؟
- الصَّوْتُ يَأْتِينِي الْآنَ مِنْ أَعْلَى .
- نَعَمْ ، إِنَّهُ صَوْتِي أَنَا .
- مَنْ ؟ النَّحْلَةُ ؟
- إِنَّهَا أَنَا ، وَلَا شَيْءَ غَيْرِي ، لَقَدْ اَقْتَلَعْتَ جَرِيدِي أَمْسَ .
- كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ .
- وَلَكِنَّكَ وَضَعْتَهُ مِنْ أَعْلَى ، فَكِدْتَ تَكْتُمُ أَنْفَاسِي .
- مَنْ تَكُونُ يَا مَنْ تَتَحَدَّثُ إِلَيَّ مِنْ عَلَى الْأَرْضِ ؟
- أَنَا الْحَجَرُ .
- حَتَّى الْحَجَرُ يَتَكَلَّمُ ! وَالْجَمِيعُ يَلُومُونَنِي ؟ إِنَّنِي لَنْ أَبْقَى دَقِيقَةً وَاحِدَةً فِي هَذَا الْحَقْلِ الْمَسْحُورِ .
- جَرَى الْفَلَّاحُ مُغَادِرًا الْحَقْلَ ، وَظَلَّ مُنْطَلِقًا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ إِلَى أَنْ
- التَّفَى مَعَ صَيَّادٍ سَمَكٍ ، سَأَلَهُ :
- لِمَذَا تَجْرِي يَا عَزِيزِي ؟
- لَقَدْ تَكَلَّمَتِ الْجَزْرَةُ ، وَالْعَنَزَةُ ، وَالنَّحْلَةُ ، وَالْحَجَرُ نَطَقَ !

– وَأَيُّ شَيْءٍ فِي هَذَا ؟ إِنَّنِي – أَيْضًا – أَتَكَلَّمُ .

– مَنْ تَكُونِينَ ؟

– أَنَا سَمَكَةٌ .

قَالَ الصَّيَّادُ : يَا سَلَام .. السَّمَكَةُ تَتَكَلَّمُ .

شَارَكَ الصَّيَّادُ زَمِيلَهُ الْفَلَّاحَ فِي الْجَرَى بَعْدَ أَنْ أُلْقِيَ بِالشَّبَكَةِ
وَمَا فِيهَا ، لَكِنَّ النَّسَاجَ قَابِلَهُمَا عَلَى الطَّرِيقِ ، يَحْمِلُ لُفَافَةً مِنْ قُمَاشٍ
نَسَجَهُ ، وَإِذَا بِهَا تَقُولُ :

– مَاذَا حَدَّثَ لِيَجْرِي كُلُّ مَنْكُمَا بِهَذِهِ السَّرْعَةِ ؟

قَذَفَ النَّسَاجُ بِالْقُمَاشِ ، وَجَرَى مَعَهُمَا إِلَى أَنْ اعْتَرَضَهُمْ نَهْرٌ وَفَتَاةٌ
وَاقِفَةٌ تَمْلَأُ مِنْهُ الْمَاءَ ، فَتَوَقَّفَتْ عَمَّا تَفْعَلُهُ ،
وَارْتَفَعَ صَوْتُ يَسْأَلُ :

– هَلْ تُطَارِدُونَ غَزَالَةً ؟

– لَا .. هَلْ أَنْتِ أَيْتُهَا الْفَتَاةُ مَنْ

تَسْأَلِينَ ؟

– لَا ، إِنَّهَا أَنَا .. أَنَا الْمِيَاهُ .



تَرَكْتُ الْفَتَاةَ الْجَرَّةَ الَّتِي كَانَتْ
تَمْلُؤُهَا بِالْمَاءِ، وَجَرَتْ مَعَ الْفَلَّاحِ
الَّذِي كَلَّمَتْهُ الْجَزْرَةُ ، وَالصَّيَّادَ
الَّذِي تَحَدَّثَتْ مَعَهُ
السَّمَكَةَ، وَالنَّسَاجَ الَّذِي
نَطَقَ قُمَاشُهُ . وَكَانَ
الْجَمِيعُ يَرْتَعِدُ فَرَعًا
وَرُغْبًا .



قَالَتْ لَهُمُ الْفَتَاةُ أَثْنَاءَ الْجَرَى ، وَهِيَ تَلْهَثُ :

— هَيَّا بِنَا إِلَى شَيْخِ الْقَبِيلَةِ .

— وَمَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ يَفْعَلَهُ ؟

— يُوجِدُ لَنَا حَلًّا مَعَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَتَكَلَّمُ .

— فِكْرَةٌ لَا بَأْسَ بِهَا .

انْطَلَقَ الْجَمِيعُ تَجَاهَ مَكَانِ شَيْخِ الْقَبِيلَةِ ، فَوَجَدُوهُ جَالِسًا إِلَى

مَقْعَدٍ خَشَبِيٍّ ضَخْمٍ .

قَالَ لَهُ الْفَلَّاحُ : الْجَزْرَةُ تَكَلَّمَتْ وَ ...

وَقَالَ الصَّيَّادُ : وَالسَّمَكَةُ .

وَقَالَ النَّسَاجُ : وَقِطْعَةُ الْقُمَاشِ .

وَقَالَتِ الْفَتَاةُ : وَالْمِيَاهُ فِي النَّهْرِ تَكَلَّمَتْ أَيْضًا .

قَالَ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ : هَذَا كَلَامٌ خُرَافِيٌّ ، أَنْتُمْ تَرِيدُونَ أَنْ تُقْلِقُوا
النَّاسَ بِحِكَايَاتِكُمُ الْكَاذِبَةَ ، وَتَرْغَبُونَ فِي إِزْعَاجِ السُّلْطَةِ .
- بَلْ لَقَدْ حَدَّثَ هَذَا فِعْلًا .

- وَنُؤَكِّدُ لَكَ ذَلِكَ .

سَمِعُوا صَوْتًا يَسْأَلُهُمْ : هَلْ سَمِعْتُمْ بِأَنْفُسِكُمْ

هَذِهِ الْأَصْوَاتَ ؟

قَالُوا فِي نَفْسٍ وَاحِدٍ : نَعَمْ .

- كُلُّ هَذَا لَا يَسْتَدْعِي الْخَوْفَ .

- مَاذَا ؟!

- أَهُوَ شَيْءٌ غَرِيبٌ أَنْ يَتَحَدَّثَ

الْمَقْعَدُ الَّذِي يَجْلِسُ عَلَيْهِ شَيْخُ

الْقَبِيلَةِ ؟

صَرَخَ شَيْخُ الْقَبِيلَةِ : خُذُونِي

مَعَكُمْ ؛ لِنَجْرِيَ كُلَّنَا .. نَحْنُ

مَسَاكِينُ .. كُلُّ شَيْءٍ فِي هَذَا

الْعَصْرِ الْعَجِيبِ وَالزَّمَنِ الْغَرِيبِ

يَتَكَلَّمُ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ أَحَدٍ

يَسْمَعُ .



الفراشة الصفراء

عندما يهبط الليل ويحل الظلام ، تقعد « أوسا » الصغيرة وهي
تقعد يديها حول ركبتيها ، وترتعد من الخوف والرعب ؛ إذ تتخيل
الأشجار شياطين ، وتتصور الغابة مليئة بالعفاريات ، وهي تظل
في مكانها هذا دون حركة ، ولا تغادره إلى أن تنام ، وتأتي أمها ؛
لكي تحمّلها إلى فراشها .

أما بالنهار فهي « عفريتة »
صغيرة ، وشيطانة شجاعة ، تجرى
هنا وهناك ، تتسلق الأشجار ،
وتمسك بالحشرات ، وتضطاد
الطيور ، وتطارد الحيوانات .
و ذات يوم ، ضلت « أوسا »



طريقها أثناء عودتها من الغابة إلى
البيت ، ولم يفلح العقد الأحمر الذي أهدته لها أمها في أن يثبت
في نفسها شيئاً من الشجاعة ، أو يزيل منها الجبن والخوف ،
وظلت تسير باحثة عن الطريق الذي يقودها إلى منزلها ، غير أنها
لم تعثر عليه ، ولمحت على البعد أضواءً تنبعث من فوق شجرة

وَعِنْدَمَا مَضَتْ نَحْوَهَا ، اِكْتَشَفَتْ أَنَّهَا زُجَاجَاتٌ تَنْعَكِسُ عَلَيْهَا
أَشْعَةُ الشَّمْسِ . قَالَتْ مُتَسَائِلَةً :

— أَتَكُونُ هَذِهِ « شَجَرَةُ الزُّجَاجَاتِ » الَّتِي سَمِعْتُ عَنْهَا ؟
إِنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَتَحَدَّثُونَ عَنْهَا وَعَنْ صَاحِبِهَا الْعَجُوزِ . هَلْ تَجِدُهُ
هُنَاكَ وَيَدُلُّهَا عَلَى الطَّرِيقِ ؟

مَضَتْ نَحْوَ الشَّجَرَةِ ، وَإِذَا بِهَا تَلْقَاهُ ، وَيَسْتَقْبِلُهَا قَائِلًا :

— أَهْلًا يَا « أُوسَا » هَلْ اجْتَدَبْتِكِ الْأَضْوَاءُ كَالْفَرَاشَاتِ ؟
سَأَلَتْهُ « أُوسَا » : كَيْفَ عَرَفْتَ اسْمِي ؟

— إِنَّنِي أَعْرِفُ الْكَثِيرَ عَنْكَ .

— وَأَنَا أَيْضًا سَمِعْتُ أَنَّ لَدَيْكَ أَعْشَابًا تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ ، كَمَا
أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى تَفْسِيرِ الْأَحْلَامِ .

— هَذَا مَا يَقُولُهُ النَّاسُ ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُسَاعِدَنِي فِي فَرْشِ هَذِهِ
الْأَعْشَابِ ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَجِفَّ ؟

— يَسُرُّنِي ذَلِكَ كَثِيرًا .

أَخَذَتْ « أُوسَا » تَعَاوَنَ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ ، وَظَلَّتْ تَعْمَلُ طَوِيلًا
دُونَ أَنْ تَتَنَبَّهَ إِلَى أَنَّ الشَّمْسَ تَقْطَعُ رِحْلَتَهَا مِنَ الشَّرْقِ إِلَى الْغَرْبِ
بِسُرْعَةٍ ، وَقَدْ نَسِيتُ ذَلِكَ ؛ لِأَنَّهَا أَخَذَتْ تَتَبَادَلُ الْحَدِيثَ مَعَ الرَّجُلِ

العُجُوزِ، وَقَدَّمَ لَهَا بَعْضَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَشَعَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالتَّعَبِ؛
فَجَلَسَتْ لِتَسْتَرِيحَ، وَإِذَا بِهَا تَغْفُو وَتَنْعَسُ، فَحَمَلَهَا الْعُجُوزُ إِلَى
الْفِرَاشِ . وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظَتْ قُرْبَ الظُّهْرِ قَالَ لَهَا :

– لَقَدْ أَدَيْتِ عَمَلَكِ فِي بَرَاعَةٍ، وَكُنْتَ شُجَاعَةً وَأَنْتِ تَتَسَلَّقِينَ
السُّلَّمِ، وَتُسْنِدِينَهِ إِلَى الْأَشْجَارِ؛ لِقَطْفِ أَوْرَاقِهَا!

– إِنَّنِي شُجَاعَةٌ بِالنَّهَارِ، رِعْدِيدَةٌ بِاللَّيْلِ .

– أَنَا – أَيْضًا – أَخَافُ الْغَابَةَ لَيْلًا .

– هِيَ تَخْفَى أَشْيَاءَ كَثِيرَةً مُزِعِجَةً؛ إِذْ تَتَجَوَّلُ فِيهَا الْحَيَوَانَاتُ
وَتُحْمَلِقُ فِي بَعِينِيهَا، وَالشَّرُّ يَنْبَعِثُ مِنْهُمَا .

ابْتَسَمَ الْعُجُوزُ وَهُوَ يَقُولُ لَهَا :

– هَلْ تَرَيْنَ هَذِهِ الْفَرَّاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؟



– نَعَمْ ، إِنَّهَا جَمِيلَةٌ جِدًّا !
– وَصَغِيرَةٌ جِدًّا ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ تُحَلِّقُ ، وَتَطِيرُ ، وَلَا تَخْشَى
السُّقُوطَ وَالْوُقُوعَ عَلَى الْأَرْضِ .

تَطَلَّعَتْ إِلَيْهَا « أُوسَا » وَهِيَ تَقُولُ :

– لَا بُدَّ أَنْ فِيهَا سِرًّا مَا . أَنَا شَخْصِيًّا لَيْسَ عِنْدِي جَنَاحَانِ أَطِيرُ
بِهِمَا ، وَأَهْرُبُ مِنَ الْخَوْفِ .

– يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تَجِدِي سَبِيلًا لِلتَّغَلُّبِ عَلَيْهِ وَمُوَاجَهَتِهِ .

– إِنَّنِي أَتَمَنَّى ذَلِكَ . لَيْتَكَ تُسَاعِدُنِي !

– رَاقِبِيهَا .. تَابِعِيهَا .

جَلَسَتْ « أُوسَا » تَنْفُضُ التُّرَابَ عَنِ الْأَعْشَابِ الَّتِي جَفَّتْ ،
وَعَفَلَتْ مِنْ جَدِيدٍ ، وَإِذَا بِهَا تَحْلُمُ بِالْفَرَّاشَةِ الصَّفْرَاءِ وَهِيَ تَطِيرُ
فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ ، وَكَأَنَّمَا يَنْبَعِثُ مِنْ دَاخِلِهَا ، وَكَأَنَّهَا تَحْمِلُهُ
مَعَهَا أَيْنَمَا تَوَجَّهَتْ ، وَاقْتَرَبَتْ مِنْهَا الْفَرَّاشَةُ الصَّفْرَاءُ ؛ تُرِيدُ أَنْ
تَسْأَلَهَا عَنْ شَيْءٍ ، أَوْ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ لَهَا بَعْضَ كَلِمَاتٍ . وَفِي صَوْتٍ
رَقِيقٍ نَاعِمٍ ، هَمَسَتْ الْفَرَّاشَةُ : تَعَالَى وَرَائِي يَا « أُوسَا » .

– إِلَى أَيْنَ ؟

– سَتَعْرِفِينَ .

مَضَتْ الْفَرَّاشَةُ الصَّفْرَاءُ ، وَ « أُوسَا » مِنْ وَرَائِهَا ، تَتَعَقَّبُهَا .
 طَارَتْ فِي طُرُقٍ ضَيِّقَةٍ مُظْلِمَةٍ ، وَهِيَ مِنْ خَلْفِهَا
 كَأَنَّهَا تُطَارِدُهَا . وَفَجْأَةً
 أَحَسَّتْ « أُوسَا » بِشَيْءٍ
 يَجْذِبُهَا مِنْ كَتِفَيْهَا ، وَانْتَابَهَا
 فَرْعٌ شَدِيدٌ ، فَتَلَفَّتْ إِلَى الْوَرَاءِ
 وَإِذَا بِغُصْنٍ شَجَرَةٍ أَمَامَهَا ،
 وَفَجْأَةً وَجَدَتْ أَنَّهَا قَدْ فَقَدَتْ



الْفَرَّاشَةُ الصَّفْرَاءُ ؛ إِذْ اخْتَفَتْ ، وَلَمْ تَعْرِفِ الطَّرِيقَ الَّذِي سَلَكَتُهُ ،
 وَضَاعَ مِنْهَا الضَّوُّ الَّذِي كَانَتْ تَسْتَدِلُّ بِهِ ، وَتَجْرِي عَلَى هُدَاهُ ،
 فَمَا كَانَ مِنْهَا إِلَّا أَنْ قَعَدَتْ عَلَى الْأَرْضِ وَعَقَدَتْ يَدَيْهَا حَوْلَ
 رُكْبَتَيْهَا ، وَبَدَأَتْ تَبْكِي . وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَتْ نَفْسَهَا تَرْقُدُ حَيْثُ هِيَ ،
 عَلَى التُّرَابِ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ ، وَأَحَسَّتْ بِهِ دَافِعًا مُرِيحًا لَطِيفًا ، ثُمَّ
 شَعَرَتْ أَنَّ شَيْئًا مَا فِي دَاخِلِهَا يَتَغَيَّرُ ، وَتَسَاءَلَتْ :

— مَاذَا يَحْدُثُ لِي ؟

وَجَدَتْ أَنَّ نَقْطَةً مُضِيئَةً قَدْ بَدَأَتْ تَظْهَرُ فِي دَاخِلِهَا ، وَأَنَّ هَذِهِ
 النُّقْطَةُ تَكْبُرُ وَتَكْبُرُ ، كَأَنَّهَا شَمْسٌ صَغِيرَةٌ ، مِثْلُ تِلْكَ الَّتِي كَانَتْ

فِي قَلْبِ الْفَرَّاشَةِ الصَّفْرَاءِ ، وَأَحَسَّتْ بِنَفْسِهَا خَفِيفَةً لَطِيفَةً قَادِرَةً عَلَى أَنْ تَطِيرَ فِي الْهَوَاءِ ، وَهِيَ تُحَرِّكُ ذِرَاعَيْهَا ، كَأَنَّمَا هُمَا جَنَاحَانِ رَقِيقَانِ ، وَارْتَفَعَتْ إِلَى أَعْلَى .. إِلَى مَا فَوْقَ الْأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ الْعَالِيَةِ ، وَلَا حَظَّ أَنْ تَنَاءَ طَيْرَانِهَا أَنَّ اللَّيْلَ قَدْ حَلَّ ، لَكِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ مُظْلِمَةً جَدًّا ، حَيْثُ كَانَتْ « أَوْسَا » تَتَصَوَّرُ أَوْ تَتَخَيَّلُ . رَأَتْ نُورًا مُتَنَازِلًا هُنَا وَهُنَاكَ ، وَتَسَلَّلَ بَعْضُ الْأَمَانِ وَالْأَطْمَئِنَّانِ إِلَى نَفْسِهَا ، وَاسْتَمَرَّتْ تَطِيرُ مُحَلَّقَةً .

وَعِنْدَمَا فَتَحَتْ عَيْنَيْهَا ، وَجَدَتْ نَفْسَهَا فِي فِرَاشِ الْعَجُوزِ .
هَلْ نَقَلَهَا إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى أَمْ تَرَاهَا لَمْ تُغَادِرْهُ ؟
أَيْنَ الْحُلْمُ ؟ وَآيْنَ الْحَقِيقَةُ فِي كُلِّ مَا رَأَتْهُ ؟ هَلْ هُنَاكَ - حَقًّا -
- فَرَّاشَةٌ صَفْرَاءُ أَمْ أَنَّ الْأَمْرَ مُجَرَّدُ خَيَالٍ ؟ وَهَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ
قَدْ طَارَتْ فِعْلًا أَمْ أَنَّ الْحِكَايَةَ حُلْمٌ طَافَ بِرَأْسِهَا ؟
تَطَلَّعَتْ هُنَا وَهُنَاكَ بَاحِثَةً عَنِ الْعَجُوزِ .

مَا أَكْثَرَ مَا تَنَامُ خِلَالَ أَيَّامِ الصَّيْفِ الْحَارِّ نَهَارًا ، لِمَاذَا لَا تَدْخُرُ
النَّوْمَ إِلَى اللَّيْلِ ؛ لِتَهْرُبَ مِنْ ظُلَامِهِ وَمِنْ الْخَوْفِ خِلَالَهُ ؟
لَمَحَتْ « أَوْسَا » الْعَجُوزَ نَشِيطًا ، مَا زَالَ يُوَاصِلُ عَمَلَهُ فِي جِدِّ
وَأَجْتِهَادٍ ، وَأَحَسَّتْ أَنَّهُ إِنْسَانٌ عَظِيمٌ وَطِيبٌ ، بَلْ رَائِعٌ ؛ فَغَادَرَتْ

مَكَانَهَا إِلَيْهِ .

سَأَلَهَا : هَلْ رَأَيْتِ أَحْلَامًا جَمِيلَةً خِلَالَ نَوْمِكَ ؟

— نَعَمْ

وَحَكَتْ لَهُ كُلَّ مَا حَلَمَتْ بِهِ ، وَحَدَّثَتْهُ عَنِ الْفَرَاشَةِ الصَّفْرَاءِ ،
وَكَيْفَ تَبِعَتْهَا ، ثُمَّ فَقَدَتْ أَثَرَهَا ، وَرَوَتْ لَهُ كَيْفَ أَنَّ دَاخِلَهَا قَدْ
أَصْبَحَ مُضِيئًا ، وَأَنَّهَا تَمَكَّنَتْ مِنْ أَنْ تَطِيرَ ، وَأَضَافَتْ :

— قُلْتُ لِي : إِنِّي سَأَكُونُ ذَاتَ يَوْمٍ — أَقْصِدُ ذَاتَ لَيْلَةٍ — شُجَاعَةً .
— نَعَمْ .

— لَقَدْ حَدَّثَ .

كَانَ الْعَجُوزُ يَنْظُرُ إِلَى « أُوسَا » وَهِيَ تَسْتَعِدُّ لِتَغَادِرِ الْمَكَانِ إِلَى
بَيْتِهَا ، فَقَالَ لَهَا :

— سَوْفَ يَأْتِي اللَّيْلُ وَأَنْتِ عَلَى الطَّرِيقِ .

— فَلَيَاتِ .. لَسْتُ أَخْشَاهُ .

— وَالظَّلَامُ وَالْأَشْبَاحُ ؟

— إِنَّنِي كُنْتُ أَخَافُ حِينَ لَا يَكُونُ هُنَاكَ نُورٌ مِنْ حَوْلِي ، وَلَكِنِّي

أَشْعُرُ الْآنَ أَنَّ هُنَاكَ نُورًا بَدَاخِلِي .

هَتَفَ : مَاذَا ؟

– قُلْتُ لَكَ : إِنَّ شَمْسًا نَبَتَتْ بِقَلْبِي ، وَإِنَّ نُورًا يَشَعُّ مِنْهَا ،
لَا يُضِيءُ مَا بَدَاخِلِي فَحَسَبُ ، بَلْ وَالطَّرِيقَ أَمَامِي ، وَيَبْدُدُ الظَّلَامَ
فِيمَا حَوْلِي .

– هَذَا شَيْءٌ رَائِعٌ يَا « أُوسَا » ، أَنْتِ وَأَنَا الْآنَ أَصْبَحْنَا أَصْدِقَاءَ ،
وَأَنْتِ قَادِرَةٌ عَلَى أَنْ تَزُورِيْنِي حَتَّى فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ .
– لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ ، وَسَوْفَ أُسْتَدِلُّ عَلَيْكَ مِنْ
ضَوْءِ النُّجُومِ وَهِيَ تَنْعَكِسُ عَلَى زُجَاجَاتِ الشَّجَرَةِ وَتَمَلُّوْهَا بِالنُّورِ .
– سَأَنْتَظِرُكَ يَا « أُوسَا » .

لَوَحَتْ « أُوسَا » بِيَدِهَا مُودَعَةً الرَّجُلَ الْعَجُوزَ ، وَمَضَتْ عَلَى
الطَّرِيقِ شُجَاعَةً ثَابِتَةً الْخُطَا ، لَا تَخَافُ أَحَدًا ، وَلَا تَخْشَى شَيْئًا .
وكَانَتْ عَيْنَاهَا تَخْتَرِقَانِ الظَّلَامَ ، وَالنُّورُ يُطِلُّ مِنْهُمَا ، فَتَخْشَاهَا
الْحَيَوَانَاتُ ، وَتَتَفَادَاهَا ، وَتُخْلِي لَهَا الطَّرِيقَ . وَكَانَ صَوْتُهَا يَرْتَفِعُ
– أحيانًا – بِالْغِنَاءِ ، فَيُؤْنِسُهَا ، وَيُفْرِحُهَا وَيُبْهَجُهَا ، وَيَزِيدُهَا شُجَاعَةً
عَلَى شُجَاعَتِهَا . وَكَانَتْ أَغْصَانُ الشَّجَرِ تَنْحِنِي لَهَا أَثْنَاءَ سَيْرِهَا ،
بَلْ إِنَّ بَعْضَهَا كَانَ يَنْحِنِي ؛ تَحِيَّةً وَتَقْدِيرًا .

وَعِنْدَمَا وَصَلَتْ إِلَى الْبَيْتِ وَجَدَتْ أُمَّهَا فِي انْتِظَارِهَا وَهِيَ قَلِقَةٌ ،
وَمَا إِنَّ رَأَتْهَا حَتَّى صَاحَتْ فِيهَا :

- أَيْنَ كُنْتَ كُلَّ هَذَا الْوَقْتِ إِلَى أَنْ حَلَّ الظُّلَامُ ؟
 - كُنْتُ أَبْدُدُهُ وَأَهْزِمُهُ ، وَأُسَاعِدُ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ عَلَى تَجْفِيفِ
 أَوْرَاقِ الشَّجَرِ ، وَأُطَارِدُ الْفَرَّاشَةَ الصَّفْرَاءَ ؛ بَحْثًا عَنِ الطَّرِيقِ .
 - وَمَاذَا عَنْ خَوْفِكَ مِنَ الظُّلَامِ ؟
 - الظُّلَامُ ؟ أَى شَيْءٍ هُوَ ؟ وَمَا الَّذِي يُخِيفُ فِيهِ ؟
 - كُنْتُ تَرْتَعِدِينَ مِنْهُ ؟
 - كَانَ ذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تُوْجَدَ الشَّمْسُ بِدَاخِلِي وَقَبْلَ أَنْ يُشْرِقَ النُّورُ
 فِي صَدْرِي . لَقَدْ تَعَبْتُ ، وَأُرِيدُ أَنْ أَرْقُدَ فِي فِرَاشِي .
 - أَلَنْ تَقْعُدِي وَتَعْقِدِي ذِرَاعَيْكَ
 حَوْلَ رُكْبَتَيْكَ ، وَتَنَامِي حَيْثُ
 أَنْتِ ، وَأَحْمِلُكِ إِلَى سَرِيرِكَ ؟
 - لا .. لا ، سَوْفَ
 أَمْضِي إِلَيْهِ هَادِئَةً وَفِي
 عُمُقٍ وَأَنَا مُلْتَحِفَةٌ
 بِالظُّلَامِ !



قصص من أندونيسيا



تَلُّ النَّمْلُ

عَلَى ضَفَّةِ نَهْرٍ فِي سَوْمَطْرَةَ عَاشَ شَقِيقَانِ .. الْأَكْبَرُ
اسْمُهُ « مِيرَاهُ شَا جَا » يُمَارِسُ الْعَمَلَ فِي غَيْرِ إِتْقَانٍ ؛
لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحْصُلُ مِنْهُ عَلَى الْكَثِيرِ مِنَ الْمَالِ ،
فِي حِينٍ أَنَّ أَخَاهُ « مِيرَاهُ سِيلِيو » الصَّغِيرَ يَقْضِي وَقْتَهُ
فِي صَيْدِ السَّمَكِ ؛ فَمَا كَانَتْ هُنَاكَ مَدْرَسَةٌ لِيَلْتَحِقَ بِهَا .. وَكَانَ
« شَا جَا » يَسْخَرُ مِنْ أَخِيهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَوَايَتِهِ ، بَلْ
كَثِيرًا مَا كَانَ يُرَدِّدُ :

– لَعَلَّهُ يَصْطَادُ لَنَا سَمَكًا نَأْكُلُهُ ، وَإِذَا نَجَحَ فِي اصْطِيَادِ مَا يَفِيزُ
عَنْ حَاجَتِنَا فَسَوْفَ نَبِيعُهُ وَنَشْتَرِي ثِيَابًا .





وَلَمْ يَكُنْ « سِيلِيو » مُوقِّفًا فِي
صَيْدِ السَّمَكِ ، وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَذْهَبُ
إِلَى النَّهْرِ وَيُلْقِي بِشَبَاكِهِ لَا يَجِدُ
فِيهَا بَعْدَ حِينٍ إِلَّا بَعْضَ الدِّيدَانِ
.. فَلَا يَكُونُ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يُعِيدَهَا
إِلَى الْمَاءِ .. وَذَاتَ يَوْمٍ ، قَرَّرَ فِيمَا
بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ أَنْ يَسْلُقَهَا ، فَوَضَعَهَا

فِي إِنَاءٍ ، وَأَوْقَدَ مِنْ تَحْتِهِ النَّارَ ، وَإِذَا بِهِ أَمَامَ مُفَاجَأَةٍ ضَخْمَةٍ ، إِذْ
إِنَّهَا تَحَوَّلَتْ إِلَى ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ .. وَأَذْهَلَهُ الْأَمْرُ ، لَكِنَّهُ سَلَقَ كَمِيَّةً
أُخْرَى ، وَإِذَا بِهَا هِيَ أَيْضًا تُصْبِحُ ذَهَبًا وَفِضَّةً (إِلَى الْيَوْمِ مَا زَالَ هَذَا
الْمَكَانُ مِنْ ضَفَّةِ النَّهْرِ، يُسَمِّيهِ النَّاسُ فِي إِنْدُونِيسِيَا : حَقْلُ الذَّهَبِ) .
وَكَانَ « شَا جَا » يَتَجَوَّلُ هُنَا وَهُنَاكَ ، بَاحِثًا عَنْ عَمَلٍ يَرْتَزِقُ مِنْهُ ،
وَقَدْ تَرَامَى إِلَى أُذُنِهِ أَنْ شَقِيقَهُ الْأَصْغَرَ يَطْبُخُ الدَّوْدَ ، بَلْ تَجَاوَزَ
النَّاسُ فِيمَا قَالُوهُ ، فَادَّعَوْا أَنَّهُ يَأْكُلُهُ .. وَغَضِبَ « شَا جَا » غَضَبًا
شَدِيدًا، وَرَأَى فِي ذَلِكَ فَضِيحَةً وَعَارًا يَلْحَقُ بِهِمَا ، وَيُسَيِّءُ إِلَى
سَمْعَةِ الْأُسْرَةِ ، وَأَعْلَنَ أَنَّهُ سَوْفَ يُعَاقِبُ أَخَاهُ بِشِدَّةٍ إِذَا مَا ثَبَتَ أَنَّ
ذَلِكَ صَحِيحٌ .



وَسَارَعَ النَّاسُ إِلَى « سِيلِيو » الصَّغِيرِ ، وَنَقَلُوا إِلَيْهِ مَا قَالَهُ شَقِيقُهُ ،
وَمَا هَدَدَ بِهِ ، فَلَمْ يَجِدْ أَمَامَهُ مِنْ سَبِيلٍ إِلَّا أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ ، وَيَبْتَغِدَ
عَنْهُ ، وَجَمَعَ ذَهَبَهُ وَفِضَّتَهُ ، وَجَرَى لِيَخْتَفِيَ وَسَطَ أَدْعَالِ « جِيرون » .
وَعِنْدَمَا عَادَ « شاجا » إِلَى الْبَيْتِ لَمْ يَعَثُرْ عَلَى شَقِيقِهِ ، وَكُلُّ مَا
اسْتَطَاعَ أَنْ يَجِدَهُ هُوَ بَقَايَا قُشُورٍ ذَهَبِيَّةٍ تَرَكَهَا « سِيلِيو » .
بَحَثَ « شاجا » عَنْ أَخِيهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَسَأَلَ عَنْهُ كُلُّ النَّاسِ ،
غَيْرَ أَنْ أَحَدًا لَمْ يَرَهُ ، وَمَا عَرَفَ إِنْسَانٌ أَيْنَ مَضَى ، وَأَيْنَ يَخْتَبِئُ ،
وَعَاتَبَ « شاجا » نَفْسَهُ عَلَى أَنَّهُ تَسَرَّعَ بِإِعْلَانِ تَهْدِيدِهِ بِعِقَابِ
شَقِيقِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَحَقَّقَ مِنْ صِدْقِ مَا قَالُوهُ عَنْهُ ، وَشَعَرَ الْأَخُ الْكَبِيرُ

بِحُزْنٍ عَمِيقٍ وَأَسَى شَدِيدٍ ؛ لِأَنَّهُ فَقَدَ شَقِيقَهُ ، وَلَمْ يَعُدْ يَعْرِفُ أَيْنَ
وَكَيْفَ يَعِيشُ هَذَا الصَّغِيرُ الْمِسْكِينُ .

وَكَانَتْ الْأَدْغَالُ الَّتِي لَجَأَ إِلَيْهَا « سِيلِيو » وَاسِعَةً شَاسِعَةً ، وَلَيْسَ
مِنَ السَّهْلِ الْبَحْثُ فِيهَا عَنْ إِنْسَانٍ ، خَاصَّةً أَنَّ أَشْجَارَهَا كَثِيفَةٌ
مُتَشَابِكَةٌ ، وَلَيْسَ مِنَ الْمَيَسُورِ التَّجَوُّلُ فِيهَا .. وَلَمْ يَعْرِفْ « سِيلِيو »
شَيْئًا عَنْ مُحَاوَلَاتِ شَقِيقِهِ الْمُضْنِيَةِ الشَّاقَّةِ لِلْبَحْثِ عَنْهُ ، وَلَمْ يَسْمَعْ
عَنْهُ خَبْرًا ؛ إِذِ انْقَطَعَتِ الصَّلَاةُ بَيْنَهُمَا تَمَامًا مَعَ الْأَسَفِ .

وَفِي هَذِهِ الْأَدْغَالِ ، عَاشَتْ يَوْمئِذٍ بَعْضُ الْقَبَائِلِ الرَّحْلِ ، تَنْتَقِلُ
مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ بَحْثًا عَنْ رِزْقِهَا ، وَطَعَامِهَا ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ



الطَّعَامُ يَزِيدُ عَلَى أَرْتَبٍ يَصْطَادُونَهُ وَيَشْوُونَهُ، وَأَشْيَاءَ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ .. وَقَدْ رَأَى « سِيلِيو » أَنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَعِيشَ مَعَهُمْ، وَقَدْ أَحْسَنُوا اسْتِقْبَالَهُ، وَرَحَّبُوا بِهِ تَرْحِيبًا كَبِيرًا، خَاصَّةً وَقَدْ وَجَدُوا أَنَّ مَعَهُ مَا يَنْفِقُهُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ عَالَةً عَلَيْهِمْ، وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَحَمَّلَ مَسْئُولِيَّةَ نَفْسِهِ، بَلْ لَقَدْ رَأَوْا فِيهِ شَخْصًا غَنِيًّا ثَرِيًّا، قَادِرًا عَلَى أَنْ يَشْتَرِيَ ثِيَابًا أَنْيَقَةً، وَأَشْيَاءَ ثَمِينَةً .. وَقَدْ أَصْبَحَ شَخْصًا مُهِمًّا، لَهُ مَكَانَتُهُ فِيمَا بَيْنَهُمْ؛ لِأَنَّهُ يُكَلِّفُهُمْ بِأَعْمَالٍ يَقُومُونَ بِهَا، وَيَدْفَعُ لَهُمْ مُقَابِلَهَا مُكَافَأَاتٍ وَأُجُورًا مَعْقُولَةً وَمَقْبُولَةً .. وَقَدْ اشْتَرَى مِنْهُمْ كَلْبًا، دَرَبَهُ عَلَى أَنْ يُعِينَهُ وَيُسَاعِدَهُ عَلَى الصَّيْدِ، وَأَطْلَقَ عَلَيْهِ اسْمَ « بَرَسَاي » .. وَقَدْ أَحَبَّهُ كَثِيرًا، وَعَامَلَهُ بِلُطْفٍ وَرِقَّةٍ .

وَذَاتَ يَوْمٍ كَانَ « سِيلِيو » مَعَ « بَرَسَاي » فِي رِحْلَةٍ صَيْدٍ، وَأَنْطَلَقَ الْكَلْبُ يَجْرِي خَارِجَ الْأُدْغَالِ، وَمِنْ وَرَائِهِ صَاحِبُهُ، لَا يَدْرِي إِلَى أَيْنَ يَمْضِي .. وَوَقَفَ الْكَلْبُ عِنْدَ قَاعِدَةٍ تَلٍّ، وَرَاحَ يَنْبَحُ بِصَوْتٍ عَالٍ مُتَوَاصِلٍ، دُونَ أَنْ يَعْرِفَ « سِيلِيو » السَّرَّ فِي ذَلِكَ .. وَبَدَأَ « بَرَسَاي » يَتَسَلَّقُ التَّلَّ عَلَى غَيْرِ رَغْبَةٍ مِنْ صَاحِبِهِ، الَّذِي تَتَبَعُهُ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى الْقِمَّةِ .

وَعِنْدَهَا تَوَقَّفَ ، وَتَطَلَّعَ الْفَتَى إِلَى مَا تَحْتَهُ ، وَإِذَا بِهِ يَجِدُ نَفْسَهُ
 فِي مَكَانٍ رَائِعٍ ، وَبُقْعَةٍ فَرِيدَةٍ ، تُطِلُّ عَلَى مَنْظَرٍ سَاحِرٍ ، لَمْ يَرَفِى
 حَيَاتِهِ أَبْهَى مِنْهُ .. وَظَلَّ وَقِفًا لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ ، يَدُورُ خِلَالَهَا حَوْلَ
 نَفْسِهِ ، يَنْظُرُ إِلَى بَعِيدٍ ، وَيَمُدُّ بَصَرَهُ إِلَى الْأَفْقِ ، ثُمَّ يَرْتَدُّ بِهِ عَلَى



مَهْلٍ ، حَتَّى أَسْفَلَ التَّلِّ .. فَعَلَ ذَلِكَ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، وَلَمْ يَشْبَعْ
مِنَ التَّطَلُّعِ هُنَا وَهُنَاكَ ، وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهِ يَرَى فِيهَا
الْأُفُقَ دَائِرَةً كَامِلَةً مِنْ حَوْلِهِ .

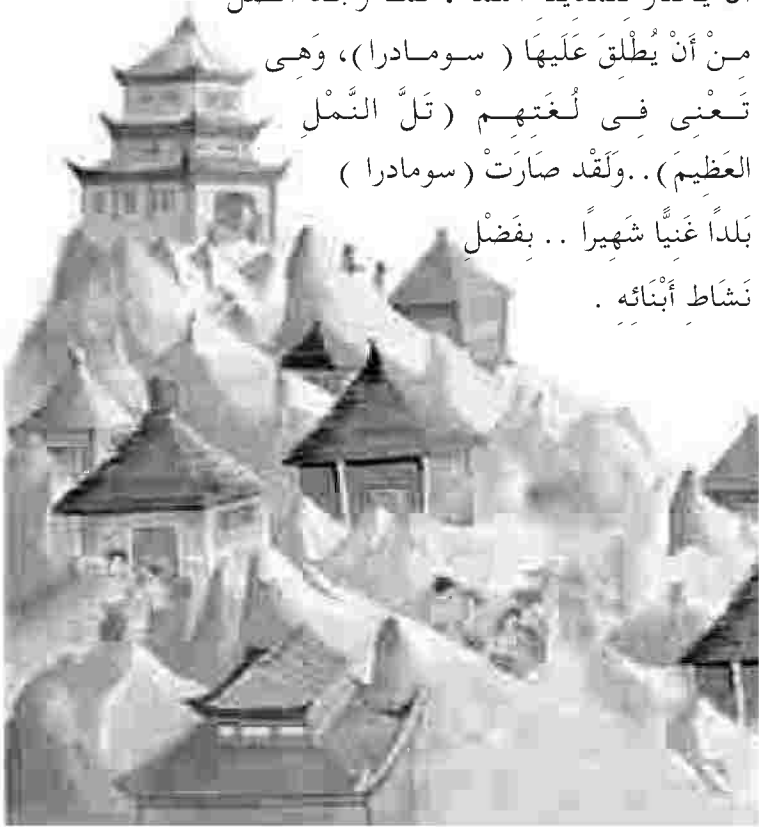
لَمْ يُعَادِرْ « سِيلِيو » مَكَانَهُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ اتَّخَذَ قَرَارًا بِأَنْ يَبْنِيَ لِنَفْسِهِ
بَيْتًا فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي يُشْرِفُ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ تَحْتِهِ ، وَكَانَ لَدَيْهِ
مِنَ الْمَالِ مَا يَكْفِيهِ لِذَلِكَ ، وَمَا إِنْ نَزَلَ مِنْ فَوْقِ التَّلِّ حَتَّى رَاحَ
يَعْمَلُ عَلَى تَحْقِيقِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي خَطَرَتْ لَهُ .

وَعِنْدَمَا انْتَهَى « سِيلِيو » مِنْ بِنَاءِ بَيْتِهِ فَوْقَ قِمَّةِ التَّلِّ ، بَدَأَ الْبَعْضُ
يَقْلُدُونَهُ ، وَيَزْحَفُونَ إِلَى السُّفُوحِ الْأَقْلَى ارْتِفَاعًا ، لِيَبْنُوا لِأَنْفُسِهِمْ
بُيُوتًا مِثْلَ بَيْتِ « سِيلِيو » ، الَّذِي كَانَ فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ قَصْرًا صَغِيرًا ،
وَجَمِيلًا مِنَ الدَّاخِلِ ، أَمَّا الْمَنَاطِرُ الَّتِي كَانَ يُطِلُّ عَلَيْهَا فَهِيَ غَايَةُ
فِي الْبَهَاءِ وَالرَّوْعَةِ .

كَثُرَتِ الْبُيُوتُ وَالدُّورُ مِنْ حَوْلِ بَيْتِ « سِيلِيو » ، خَاصَّةً أَنَّهُمْ
كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِالْمِثْلِ الشَّهِيرِ (مَنْ جَاوَرَ السَّعِيدَ يَسْعُدُ) وَهُمْ يَرَوْنَ
فِيهِ شَابًّا سَعِيدًا بِمَا حَبَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ ، مَا مِنْ أَحَدٍ يَعْرِفُ
مَصْدَرَهُمَا .

وَلَمْ يَمُرَّ وَقْتُ طَوِيلٍ ، حَتَّى أَصْبَحَ الْمَكَانُ مَدِينَةً ، وَكَانَ

« سيليو » أَهَمَّ سُكَّانِهَا ، فَهُوَ يَعِيشُ عِنْدَ الْقِمَّةِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ
فَكَّرَ فِي اسْتِغْلَالِ التَّلِّ ، وَاسْتِثْمَارِهِ فِي الْبِنَاءِ ، ثُمَّ إِنَّهُ أَيْضًا أَكْثَرُ أَبْنَاءِ
الْمِنْطَقَةِ ثَرَوْهً وَغَنًى .. كَمَا أَنَّهُ طَيِّبٌ وَكَرِيمٌ ، وَيُحْسِنُ مُعَامَلَةَ
النَّاسِ .. وَكَانُوا هُمْ أَيْضًا يَعْمَلُونَ بِهِمَّةَ وَحَمَاسَةٍ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَكُونَ
مَدِينَتُهُمْ وَبَلَدُهُمْ شَيْئًا جَمِيلًا وَرَائِعًا . وَكَانَ مَنْظَرُهُمْ وَهُمْ يُقِيمُونَ
بُيُوتَهُمْ أَشْبَهَ بِجَيْشٍ مِنَ النَّمْلِ ، وَذَاتَ يَوْمٍ صَعِدُوا إِلَيْهِ لِيَسْأَلُوهُ
أَنْ يَخْتَارَ لِلْمَدِينَةِ اسْمًا ، فَمَا وَجَدَ أَفْضَلَ
مِنْ أَنْ يُطْلَقَ عَلَيْهَا (سوماترا) ، وَهِيَ
تَعْنِي فِي لُغَتِهِمْ (تَلَّ النَّمْلِ
الْعَظِيمِ) .. وَلَقَدْ صَارَتْ (سوماترا)
بَلَدًا غَنِيًّا شَهِيرًا .. بِفَضْلِ
نَشَاطِ أَبْنَائِهِ .



طائر الرُّخ

كَانَ السُّلْطَانُ وَاسِعَ الشَّانِ ، لَا يَحْكُمُ أَهْلَ هَذِهِ الْجُزْرِ
فَقَطْ ، بَلْ إِنَّ سُلْطَانَهُ امْتَدَّ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ ؛ لِذَلِكَ
عَمَّتْ شَهْرَتُهُ الْأَرْضَ .. وَأَوْفَدَ إِلَيْهِ قَيْصَرُ رُومًا عَبْرَ
آسِيَا رُسُلًا يَطْلُبُ يَدَ ابْنَتِهِ الْأَمِيرَةِ لِابْنِهِ الشَّابِّ ..
وَتَمَّتِ الْمُوَاظَفَةُ عَلَى أَنْ تَجْرِيَ مَرَّاسِمُ ذَلِكَ الزَّوْاجِ
فِي جُزْرِ جَنُوبِ شَرْقِ آسِيَا ، عَلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيْهَا الْأَمِيرُ فِي أُسْطُولٍ
ضَخْمٍ مِنَ السُّفُنِ ، الَّتِي يَقُودُهَا « مَارُونَجٌ مَهَا وَانْجَزَا » ، وَهُوَ كَبِيرُ
قَادَةِ الْبَحْرِیَّةِ وَأَقْدَرُ رِجَالِهَا وَأَعْظَمُهُمْ .



وَعَمَّ الْخَبْرُ كُلَّ أَرْجَاءِ الدُّنْيَا ، وَالْبَعْضُ مَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ ،
وَمُؤَافِقٍ وَرَافِضٍ ، وَمُرْحَبٍ وَغَاضِبٍ .. بَعْضُ أَهْلِ الْجُزْرِ يَقُولُونَ -
فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ أَنْفُسِهِمْ - :

- لَا نُرِيدُ لِهَذَا الزَّوْاجِ أَنْ يَتِمَّ .

وَيَقُولُ آخَرُونَ :

- بَلْ نَرْجُو أَنْ يَتِمَّ لِسُودِ السَّلَامِ عَالَمَنَا .

وَأَسْتَعَدَّتْ رُومًا لِسَفَرِ أَمِيرِهَا ، وَحَشَدَتْ فِي السُّفُنِ كُلَّ مَا هُوَ
غَالٍ وَثَمِينٌ مِنَ الْهَدَايَا ، كَمَا جَهَّزَ الْمَرْكَبُ الَّذِي سَوْفَ يَسْتَقِلُّهُ



بِكُلِّ أَلْوَانِ الرَّاحَةِ ، إِذْ إِنَّ الْمَسَافَةَ طَوِيلَةً ، وَتَسْتَغْرِقُ شُهُورًا ..
كَمَا أَخَذَتْ جَزِيرَةَ السُّلْطَانِ زِينَتَهَا ، وَأَعَدَّتْ نَفْسَهَا مِنْ أَجْلِ أَنْ
تَسْتَقْبِلَ الْأَمِيرَ أَجْمَلَ اسْتِقْبَالٍ ، يَلِيقُ بِهِ ، فَهُوَ رَجُلٌ سَيَجْلِسُ عَلَى
عَرْشٍ يَمْتَدُّ مِنْ أَقْصَى الْغَرْبِ إِلَى أَقْصَى الشَّرْقِ .
وَكَانَ مَوْقِفُ السُّلْطَانِ غَرِيبًا .. إِنَّهُ يَبْدُو مُسْتَسْلِمًا لِشَيْءٍ مَا ،
وَهُوَ - عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ - لَيْسَ مُوَافِقًا تَمَامًا عَلَى
الزَّوْاجِ ، وَلَيْسَ رَافِضًا لَهُ .. وَهُوَ يُتِمِّتُ دَائِمًا بِكَلِمَاتٍ غَيْرِ مَسْمُوعَةٍ
وَلَا مَفْهُومَةٍ ، وَلَا يُصَارِحُ أَحَدًا بِمَا يَدُورُ فِي نَفْسِهِ وَفِي خَلْدِهِ ..
لَكِنَّ الْجَمِيعَ أَدْرَكُوا أَنَّ الْأَمْرَ خَارِجٌ عَلَى إِرَادَتِهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَمْلِكُ



فِي يَدَيْهِ إِزَاءَهُ كَثِيرًا أَوْ قَلِيلًا .. وَكَانَ ذَلِكَ غَرِيبًا عَجِيبًا ،
عَلَى مَا لَدَيْهِ مِنْ سُلْطَانٍ تَجَاوَزَ بِهِ الْحُدُودَ .

كَانَ طَائِرُ « الرُّخ » صَدِيقًا أَثِيرًا وَمُسْتَشَارًا لِسُلْطَانِ الْجُزْرِ ..
وَكَانَ طَائِرًا ضَخْمًا ، فِي حَجْمِ أَكْبَرِ طَائِرَةٍ فِي زَمَانِنَا هَذَا ، وَعِنْدَمَا
يُحَلِّقُ فِي السَّمَاءِ كَانَ يَحْجُبُ الشَّمْسَ عَنِ الْأَرْضِ ، كَأَنَّهُ سَحَابَةٌ
سَوْدَاءُ .

وَقَدْ عَاشَ هَذَا الطَّائِرُ وَحْدَهُ فِي جَزِيرَةِ « لَانْغَا » ، وَهُوَ الْأَسْمُ
الْقَدِيمُ لَجَزِيرَةِ « سِيلَان » ، الَّتِي كَانَتْ يَوْمَئِذٍ خَالِيَةً مِنَ السُّكَّانِ
عَلَى أَثَرِ صِرَاعِ مَرِيرٍ ، وَطَوِيلٍ ، وَمُدْمَرٍ ، حَكَتْ عَنْهُ كَثِيرًا حِكَايَاتٌ

هَنْدِيَّةٌ شَهِيْرَةٌ اسْمُهَا « رَامَايَا » .

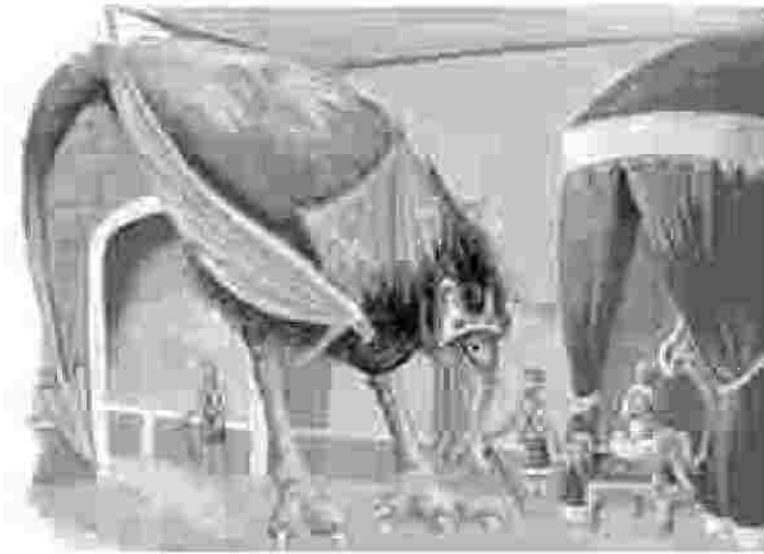
وَذَاتَ يَوْمٍ ، جَاءَ الرُّخُّ لَزِيَارَةِ سُلْطَانِ الْجَزِيْرَةِ ، وَالتَّحَدُّثِ إِلَيْهِ .. وَخِلَالَ حَدِيثِهِمَا نَقَلَ الرُّخُّ إِلَى جَلَالَتِهِ مَا يَتَنَاقَلُهُ النَّاسُ مِنْ أَخْبَارٍ حَوْلَ خِطْبَةِ ابْنَتِهِ الْأَمِيرَةِ إِلَى وَلِيِّ عَهْدِ الْإِمْبْرَاطُورِيَّةِ الرُّومَانِيَّةِ .. وَأَعْلَنَ لِلْسُلْطَانِ أَنَّهُ غَيْرُ رَاضٍ عَنْ ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ لَا يُرِيدُ أَبَدًا لِهَذِهِ الْإِمْبْرَاطُورِيَّةِ أَنْ يَمْتَدَّ نَفُوذُهَا إِلَى هَذِهِ الْبُقْعَةِ الْجَمِيلَةِ الْحُرَّةِ مِنْ عَالَمِنَا ، وَأَضَافَ :

– إِنَّنِي أَسْتَأْذِنُكُمْ يَا مَوْلَايَ فِي أَنْ أَسْتَخْدِمَ قُوَّتِي وَمَهَارَتِي لِكَيْ أُوقِفَ هَذَا الْأَمْرَ ، وَأَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ ، حَتَّى يُدْرِكَ هَذَا الْإِمْبْرَاطُورُ الْمَغْرُورُ أَنَّ فِي دُنْيَانَا قُوَى عَتِيدَةً عَنِيدَةً تَسْتَطِيعُ أَنْ تُوَاجِهَهُ ، وَتَتَحَدَّاهُ .. وَثِقْ – يَا مَوْلَايَ – أَنَّنِي قَادِرٌ تَمَامًا عَلَى تَحْقِيقِ هَذَا الَّذِي أَقُولُهُ .

سَكَتَ سُلْطَانُ الْجَزْرِ ، وَلَمْ يَبْدِ قَبُولُهُ أَوْ رَفْضُهُ لِمَا قَالَهُ الرُّخُّ .. غَيْرَ أَنَّهُ كَرَّرَ مَا كَانَ دَائِمًا يَقُولُهُ وَيَرُدُّهُ .

– لِنَنْفُذْ مَشِيعَةُ اللَّهِ وَيَسْكُتُ السُّلْطَانُ قَلِيلًا ، وَيَهْزُ رَأْسَهُ وَهُوَ يُضِيفُ : – أَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ مَا تَشَاءُ وَمَا تُرِيدُ .

وَبَدَأَ الطَّاوِرُ يَصْنَعُ خُطْطَهُ عَلَى هَذَا الْأَسَاسِ ، وَطَارَ إِلَى قَصْرِ الْأَمِيرَةِ ،



يَحْمِلُهُ وَهِيَ بِدَاخِلِهِ ، وَمَعَهَا وَصِيفَتُهَا ، وَيَنْقُلُهُ إِلَى جَزِيرَةٍ صَغِيرَةٍ
بَعِيدَةٍ ، يَصْعَبُ عَلَى أَحَدٍ أَنْ يَعْرِفَ مَكَانَهَا أَوْ الطَّرِيقَ إِلَيْهَا ، وَذَلِكَ
حَتَّى يَأْمَنَ عَلَيْهَا مِنْ وُصُولِ أَمِيرِ رُومًا .. ثُمَّ عَادَ لِكَيْ يَنْتَظِرَ أُسْطُولَ
« مارونج مها وانجازا » وَرِجَالَهُ الْمُسَلَّحِينَ عِنْدَ جَزِيرَةِ سِيلَانَ ، وَعِنْدَمَا
وَصَلَ رَاحَ يُمْطَرُهُ بِحَجَارَةٍ ضَخْمَةٍ وَصُخُورٍ كَبِيرَةٍ ، تَتَسَاقَطُ عَلَيْهِ بِقُوَّةٍ
وَعُنفٍ ، فَتَقْتُلُ مَنْ تَقْتُلُ وَتُغْرِقُ مِنَ السُّفُنِ مَا تُغْرِقُ .. وَحَاوَلَ هَؤُلَاءِ
دُونَ طَائِلِ إِطْلَاقِ أَسْهُمِهِمْ عَلَيْهِ ، لَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ أَوْ
تُصِيبَهُ .

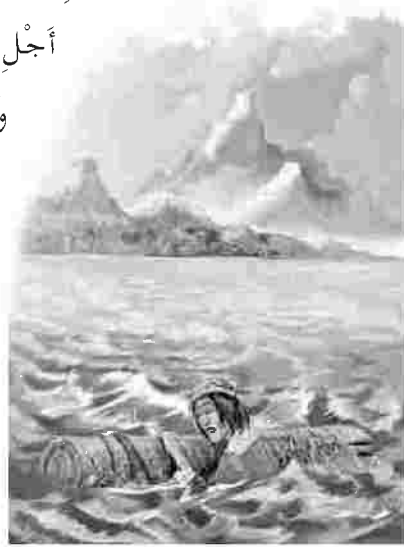
كَانَتِ الْمَعْرَكَةُ - مَا بَيْنَ الرُّخِّ مِنْ جَانِبٍ وَأُسْطُولِ الرُّومِ مِنْ جَانِبٍ

آخَر - غَايَةً فِي الْعُنْفِ وَالشَّرَاسَةِ .. السُّفُنُ قَوِيَّةٌ ضَخْمَةٌ ، وَمَا يُسْقِطُ
الرُّخُ فَوْقَهَا مِنْ أَحْجَارٍ وَصُخُورٍ تُحْطَمُ بَعْضُ أَجْزَائِهَا وَتَقْتُلُ الْعَدِيدَ
مِنْ رِجَالِهَا .. وَاسْتَمَرَ الْقِتَالُ وَقْتًا طَوِيلًا ، حَرَصَ الرُّخُ فِي بَدَايَتِهِ
عَلَى أَلَا يُهَاجِمَ سَفِينَةَ الْأَمِيرِ الَّتِي يَقُودُهَا الْقُبْطَانُ الشَّهِيرُ ، لَكِنْ
الْمَقَاوِمَةُ امْتَدَّتْ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ بَدَأَ يُغِيرُ عَلَيْهَا ، وَيُهَاجِمُهَا
بِكُلِّ قَسْوَةٍ ، وَيُلْقِي فَوْقَهَا جِبَالًا مِنْ الصُّخُورِ يَقْتُلُهَا مِنْ فَوْقِ
الْأَرْضِ ، وَيَقْذِفُ بِهَا مِنْ ارْتِفَاعٍ عَالٍ لِكَي تَنْزِلَ عَلَيْهَا مُدَوِيَّةٌ مُدْمِرَةٌ ،
إِلَى أَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُحْطِمَهَا ، وَيَجْعَلَهَا تَغُوصُ فِي أَعْمَاقِ الْمِيَاهِ ،
حَامِلَةً مَعَهَا الْأَمِيرَ .. وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ رَاحَ لَجْزِيرَتِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ
يَسْتَرِيحَ قَلِيلًا ، قَبْلَ أَنْ يَمْضِيَ إِلَى لِقَاءِ السُّلْطَانِ لِيُعْلِنَهُ الْأَمْرَ ،



وَلِيَزِفْ إِلَيْهِ النَّبَأُ الَّذِي يَرَاهُ سَعِيدًا ، وَيَنْتَظِرُ عَلَيْهِ مُكَافَأَةً سَخِيَّةً .
 وَعِنْدَمَا غَاصَتْ سَفِينَةُ الْأَمِيرِ فِي الْمَاءِ ، قَذَفَ بِنَفْسِهِ بَيْنَ الْأَمْوَاجِ ،
 وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَعْتَرِ عَلَى لَوْحٍ مِنَ الْخَشَبِ ، رَقْدَ فَوْقَهُ ، وَتَرَكَ التِّيَّارَ
 يَحْمِلُهُ إِلَى حَيْثُ يَشَاءُ وَيَرْغَبُ ، إِلَى أَنْ قَذَفَ بِهِ إِلَى شَطْطِ جَزِيرَةٍ
 نَائِيَةٍ وَهُوَ مُغْمًى عَلَيْهِ . . وَبَعْدَ وَقْتٍ مَا أَفَاقَ إِلَى نَفْسِهِ ، وَفَتَحَ
 عَيْنَيْهِ ، وَإِذَا بِهِ يَذْهَلُ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ حَوْلَهُ أَكْلَةٌ لِحُومِ الْبَشَرِ ، أَوْ
 حَيَوَانَاتٍ مُفْتَرَسَةً شَرِسَةً . . بَلْ كَانَتْ هُنَاكَ فَتَيَاتٌ رَقِيقَاتٌ جَمِيلَاتٌ
 يَعْتَنِينَ بِهِ وَيَرْعَيْنَهُ فِي شَفَقَةٍ ظَاهِرَةٍ وَعَطْفٍ شَدِيدٍ .

حَمَلَتْ الْفَتَيَاتُ الْأَمِيرَ إِلَى قَصْرِ مَنِيْفٍ ، مِنْ
 أَجْلِ مَزِيدٍ مِنَ الْعِنَايَةِ وَالرَّعَايَةِ ،
 وَأَلْبَسْنَهُ ثِيَابًا أُنِيقَةً تَلِيْقُ بِهِ ،
 وَأَجْلَسْنَهُ إِلَى مَائِدَةٍ عَامِرَةٍ
 بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَهُوَ غَيْرُ
 قَادِرٍ عَلَى أَنْ يُعْبِرَ لَهُنَّ عَنْ
 شُكْرِهِ وَامْتِنَانِهِ . . وَبِالذَّاتِ
 إِلَى أَجْمَلِهِنَّ وَأَرْقَهِنَّ ، وَالتِّي
 كَانَ مِنَ الْوَاضِحِ أَنَّهَا أَهْمُهُنَّ



شَأْنًا، وَأَنَّ الْجَمِيعَ يَأْتِمِرُ بِأَمْرِهَا، وَأَنَّهَا تَحْطَى مِنْهُنَّ بِالْحَبِّ وَالطَّاعَةِ .
وَفَجْأَةً ، ارْتَجَّ الْمَكَانُ بِكُلِّ مَنْ فِيهِ .

وَوَجَدَ الْأَمِيرُ نَفْسَهُ ، وَالْفَتَاةَ ، وَمَنْ مَعَهَا مِنْ وَصِيفَاتٍ ، وَالْقَصْرَ
ذَاتَهُ ، كُلَّ ذَلِكَ وَجَدَهُ مَحْمُولًا عَنِ الْأَرْضِ ، يَرْتَفِعُ عَنْهَا ، بَلْ
وَيَحْلُقُ فِي الْفَضَاءِ ، دُونَ أَنْ يَمْلِكَ أَحَدٌ لِنَفْسِهِ شَيْئًا .. لَكِنَّ الْقَصْرَ
كَانَ يَسْبَحُ فِي الْفَضَاءِ دُونَ عَنَاءٍ أَوْ مَشَقَّةٍ .. وَيَمْضِي كَأَنَّهُ فَوْقَ
بَسَاطَةِ الرِّيحِ ، وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ بَعْدَ الْهَزَّةِ الْأُولَى ، وَرُويْدًا
.. رُويْدًا بَدَأَ الْقَصْرُ بِمَنْ فِيهِ يَهْبِطُ بِالسَّلَامَةِ .. وَتَكَرَّرَتِ الْهَزَّةُ ،
لَكِنَّ كُلَّ شَيْءٍ اسْتَقَرَّ فِي مَوْضِعِهِ فِي سَكُونٍ وَهْدُوءٍ ، وَكَأَنَّ شَيْئًا
لَمْ يَكُنْ .. وَتَطَلَّعَتِ الْفَتَيَاتُ مِنْ نَوَافِذِ الْقَصْرِ ، وَعُدْنَ سَعِيدَاتٍ
بِاسِمَاتٍ ، وَشُعُورٌ بِالْأَمَانِ وَالْأَطْمِئْنَانِ يَظْهَرُ عَلَى وُجُوهِهِنَّ ، وَانْتَقَلَ
إِلَيْهِ هَذَا الْإِحْسَاسُ .

وَكَانَ خِلَالَ ذَلِكَ قَدْ رَوَى لَهُنَّ حِكَايَتَهُ ، كَمَا نَقَلْنَا إِلَيْهِ حِكَايَتَهُنَّ
.. وَسَادَ الْقَصْرَ لَوْ أَنَّ مِنَ الْهُدُوءِ الْمَشُوبِ بِالْحَذَرِ .

أَخَذَ الرَّخُّ قِسْطَهُ مِنَ الرَّاحَةِ فِي جَزِيرَتِهِ ، وَبَعْدَهَا طَارَ إِلَى حَيْثُ
صَدِيقُهُ « السُّلْطَانُ » وَقَالَ لَهُ فِي فَرَحٍ :

— هَاأَنْدَا يَا مَوْلَايَ قَدْ حَقَّقْتُ وَأَمْلَيْتُ إِرَادَتِي ، فَأَعْرِفْتُ الْأَمِيرَ وَسَفِينَتَهُ ،

وَلَمْ يَعِدْ زَوْاجَهُ مِنَ الْأَمِيرَةِ مُمَكِّنًا .
 عَلَتْ وَجْهَ السُّلْطَانِ ابْتِسَامَةٌ بَاهِتَةٌ، ظَنَّهَا الطَّائِرُ رِضًا عَمَّا فَعَلَهُ،
 لَكِنَّهَا لَمْ تَكُنْ تُوَكِّدُ ابْتِهَاجَهُ وَفَرَحَهُ، لِذَلِكَ أَضَافَ :
 - لَقَدْ نَفَذْتُ مَا أَشَرْتُمْ بِهِ حِينَ قُلْتُمْ : « أَنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ
 مَا تَشَاءُ وَمَا تُرِيدُ ... » .
 هُنَا قَالَ السُّلْطَانُ :

- سَوْفَ تَشْهَدُ الْآنَ شَيْئًا تَعْرِفُ مِنْهُ مَا خَفِيَ عَلَيْكَ !
 صَفَّقَ السُّلْطَانُ لِيَأْتِيَ وَاحِدٌ مِنَ الْحَاشِيَةِ، أَمَرَهُ بِأَنْ يَأْتِيَ بِالْأَمِيرَةِ



وَالضَّيْفِ .. دُهِشَ الرُّخُّ ، وَقَالَ لِلسُّلْطَانِ :

– الأَمِيرَةُ لَيْسَتْ هُنَا ، إِنَّهَا فِي جَزِيرَةٍ نَائِيَةٍ وَكُنْتُ أَنْقُلُ إِلَيْهَا الطَّعَامَ كُلَّ يَوْمٍ .

رَدَّ السُّلْطَانُ : أَعْرِفُ .. لَكِنِّي أَمَرْتُ بِأَنْ تَعُودَ إِلَيْنَا .

– كُنْتُ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ !

– لَا تَقُلْ مِثْلَ هَذِهِ الْعِبَارَةِ مَرَّةً أُخْرَى . لَا تَعْتَرِّبْنَا بِمَا مَنَحَكَ – سُبْحَانَهُ – مِنْ قُوَّةٍ وَقُدْرَةٍ .

وَدَخَلَتِ الأَمِيرَةُ ، وَبِجَانِبِهَا الأَمِيرُ الشَّابُّ .

فَتَحَ الرُّخُّ عَيْنَيْهِ فِي دُحُولٍ .. وَقَالَ السُّلْطَانُ :

– الأَمِيرُ لَمْ يَغْرُقْ لَكِنَّ الأَمْوَاجَ حَمَلَتْهُ إِلَى الْجَزِيرَةِ نَفْسِهَا الَّتِي أَخْفَيْتَ فِيهَا الأَمِيرَةَ .



قصص من السلاف



مَنْ يَفُوزُ : الذَّكَاءُ أَمْ الْحِظُّ ؟



ذَاتَ يَوْمٍ التَّقَى الْحِظُّ بِالذَّكَاءِ عَلَى مَقْعَدٍ وَاحِدٍ ،
فِي حَدِيقَةٍ ، قَالَ الْحِظُّ :

– أَفْسِحْ مَكَانًا لِي .

لَمْ يَكُنِ الذَّكَاءُ عَلَى قَدَرٍ كَبِيرٍ مِنَ الْخِبَرَةِ يَوْمَئِذٍ ،
وَلَمْ يَكُنْ يَدْرِي مَنْ مِنْهُمَا الَّذِي يَجِبُ أَنْ يُفْسِحَ مَكَانًا لِلْآخَرِ ،
فَرَدَّ قَائِلًا :

– لِمَاذَا أَفْسِحُ لَكَ مَكَانًا ؟ لَسْتُ بِأَفْضَلَ مِنْنِي .

رَدَّ الْحِظُّ : الْأَفْضَلُ مِنَّا هُوَ مَنْ يُودِي عَمَلَهُ بِشَكْلِ أَحْسَنَ . هَيَّا
بِنَا نَتَسَابَقْ . هَلْ تَرَى ابْنَ الْفَلَّاحِ الَّذِي يَحْرُثُ الْأَرْضَ هُنَاكَ ؟ أَدْخُلْ
إِلَيْهِ ؛ لِنَرَى إِذَا مَا كَانَ حَالُهُ سَيَنْصَلِحُ بِوَاسِطَتِكَ أَمْ مِنْ خِلَالِي أَنَا ؟
وَلَسَوْفَ أُعْطِيكَ الْفُرْصَةَ كُلَّمَا التَّقَيْنَا ، وَحَيْثُمَا التَّقَيْنَا .

وَأَفَقَ الذَّكَاءُ ، وَدَخَلَ عَلَى الْفُورِ رَأْسَ ابْنِ الْفَلَّاحِ .

وَعِنْدَمَا أَحَسَّ ابْنُ الْفَلَّاحِ أَنَّ الذَّكَاءَ قَدْ دَخَلَ رَأْسَهُ أَخَذَ يُفَكِّرُ ،
وَقَالَ لِنَفْسِهِ :

– لِمَاذَا كُتِبَ عَلَيَّ أَنْ أَمْشِيَ وَرَاءَ الْمِحْرَاثِ عَلَى مَدَى عُمْرِي

كُلُّهُ؟ إِنَّهُ لَمِنَ الْجَدِيرِ بِي أَنْ
أَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ آخَرَ بَاحِثًا عَنْ
حَالِ أَفْضَلِ وَثَرَةٍ أَكْبَرَ مِنْ خِلَالِ
طَرِيقِ أَسْرَعَ وَأَيْسَرَ.

كَفَّ ابْنُ الْفَلَّاحِ عَنْ عَمَلِهِ،
وَتَرَكَ مِحْرَاثَهُ وَمَضَى إِلَى أَبِيهِ
قَائِلًا:



— أَنَا لَا أُحِبُّ حَيَاةَ الْفَلَاحِينَ، أُرِيدُ أَنْ أَصْبِحَ بُسْتَانِيًّا.

قَالَ لَهُ أَبُوهُ : مَاذَا حَدَّثَ لَكَ يَا فَانِيكَ؟ هَلْ فَقَدْتَ عَقْلَكَ ؟

— هَذَا هُوَ مَا أَرَعَبُ فِيهِ يَا أَبَى.

— إِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ فَلَكَ أَنْ تَتَدَرَّبَ، وَاللَّهِ مَعَكَ، لَكِنْ أَخَاكَ



الْأَصْغَرَ سَيَأْخُذُ مَكَانَكَ فِي الْحَقْلِ وَسِيرْتُ عَنِّي الْكُوخَ !

وَهَكَذَا فَقَدْ فَانِيكَ الْكُوخَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَهْتَمَّ بِذَلِكَ، وَمَضَى لِيَجْعَلَ مِنْ نَفْسِهِ مُسَاعِدًا لِبُسْتَانِي حَديقَةِ الْمَلِكِ، وَحَاوَلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَمْ يَبْخُلْ عَلَيْهِ الرَّجُلُ بِخَبْرَتِهِ الَّتِي اكْتَسَبَهَا مِنْ عَمَلِهِ فِي مِهْنَتِهِ لِسَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ، وَلَكِنْ مَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ بَدَأَ فَانِيكَ يَخْرُجُ عَنْ طَاعَتِهِ، وَيَنْفِذُ مَا يَرَاهُ صَاحِبِحًا وَسَلِيمًا مِنْ وَجْهَةٍ نَظَرِهِ الْخَاصَّةِ.

وَفِي الْبِدَايَةِ غَضِبَ الْبُسْتَانِيُّ، لَكِنَّهُ عِنْدَمَا رَأَى كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ، وَأَنَّ الْأُمُورَ تَسِيرُ إِلَى الْأَفْضَلِ بَدَأَ يَهْدَأُ، وَيُحْسِنُ بِالرِّضَا، وَقَالَ لَهُ :

— إِنَّنِي أَرَاكَ — وَبِحَقٍّ — أَكْثَرَ مِنِّي ذَكَاءً.

وَعَلَى ذَلِكَ تَرَكَ الْبُسْتَانِيُّ الْحَديقَةَ لِفَانِيكَ، يَصْنَعُ بِهَا مَا يَشَاءُ، وَقَدْ اسْتَطَاعَ فِعْلًا أَنْ يَجْعَلَهَا أَبْهَى وَأَجْمَلَ، وَقَدْ لَاحَظَ الْمَلِكُ ذَلِكَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَارَ يَنْزِلُ إِلَيْهَا لِيَتَمَشَّى فِيهَا مَعَ الْمَلِكَةِ، وَمَعَ ابْنَتِهِ الْوَحِيدَةِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ



مِنْ عُمْرِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا فَجَاءَتْ أَمْسَكَتْ عَنِ الْكَلَامِ، وَمَا عَادَ أَحَدٌ
يَسْمَعُ مِنْهَا كَلِمَةً وَاحِدَةً.

وَشَعَرَ الْمَلِكُ بِالْحُزْنِ الشَّدِيدِ؛ بِسَبَبِ هَذَا، وَأَعْلَنَ فِي كُلِّ أَرْجَاءِ
الْمَمْلَكَةِ أَنَّ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعِيدَ إِلَى ابْنَتِهِ الْقُدْرَةَ عَلَى النُّطْقِ
وَالْكَلَامِ، فَسَوْفَ تُصْبِحُ زَوْجَةً لَهُ.

بَادَرَ الْأَمْرَاءُ وَالشَّبَابُ بِبَذْلِ كُلِّ مُحَاوَلَةٍ لَهُمْ مِنْ أَجْلِ إِعَادَةِ الْأَمِيرَةِ
إِلَى دُنْيَا الْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ فَشِلُوا وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ. عِنْدَ
ذَلِكَ قَالَ فَايْنِكَ لِنَفْسِهِ:

— لِمَاذَا لَا أُجَرِّبُ حَظِّي؟ مَنْ يَدْرِي؛ فَقَدْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَحْظِيَ
مِنْهَا بِجَوَابٍ عَنِ سُؤَالٍ أَطْرَحُهُ عَلَيْهَا.

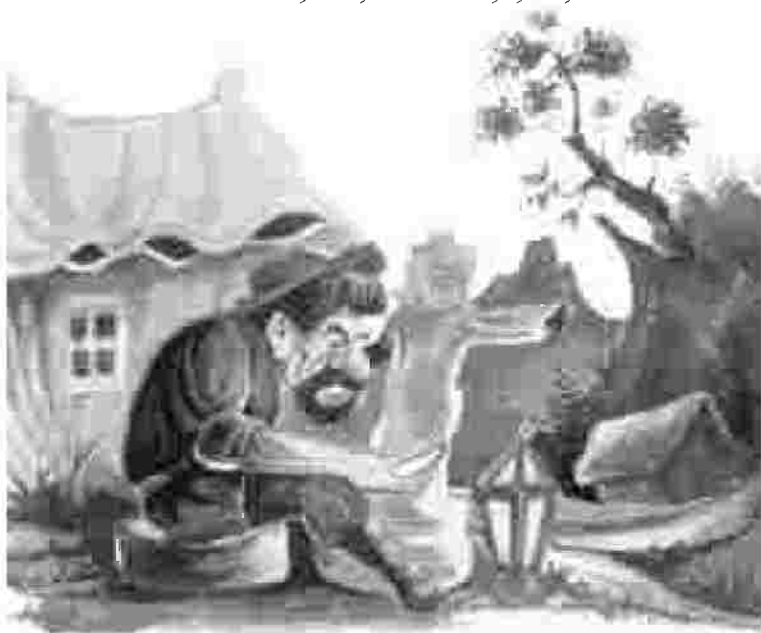
وَفِي التَّوَسُّعِ إِلَى مَنْ يُعْلِنُ قُدُومَهُ لِيُحَاوَلَ آدَاءَ هَذِهِ الْمُهْمَةِ
الصَّعْبَةِ، فَاقْتَادُوهُ إِلَى غُرْفَةِ الْأَمِيرَةِ الْجَمِيلَةِ الصَّامِتَةِ.

وَكَانَ لِلْأَمِيرَةِ كَلْبٌ صَغِيرٌ لَطِيفٌ، تُحِبُّهُ كُلُّ الْحُبِّ، وَتَرْعَاهُ رِعَايَةً
كَامِلَةً؛ لِأَنَّهُ كَانَ غَايَةً فِي الْمَهَارَةِ، وَيَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْهَمَ مَا تَرْغَبُ
فِيهِ وَتُشِيرُ إِلَيْهِ.

وَعِنْدَمَا دَخَلَ فَايْنِكَ عَلَيْهَا، مَعَ الْمَلِكِ وَمُسْتَشَارِيهِ، تَعَمَّدَ أَنْ

يَبْدُو عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يَرَهَا عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلْ أَعْقَلَهَا تَمَامًا، وَأَبْدَى
اهْتِمَامَهُ الشَّدِيدَ بِالْكَلْبِ الصَّغِيرِ، وَقَالَ:

— لَقَدْ سَمِعْتُ، أَيُّهَا الْجَرُّو اللَّطِيفُ أَنَّكَ فِي مُنْتَهَى الْمَهَارَةِ.
وَقَدْ جِئْتُ إِلَيْكَ طَالِبًا النَّصِيحَةِ. إِنَّا أَصْدِقَاءُ ثَلَاثَةً، كُنَّا نَقُومُ بِرِحْلَةٍ:
وَاحِدٌ مِنَّا نَحَاتٌ، وَالثَّانِي خِيَّاطٌ، وَأَنَا ثَالِثُهُمْ. وَبَيْنَمَا نَجْتَازُ إِحْدَى
الْغَابَاتِ، أَقْبَلَ اللَّيْلُ، وَكَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَبْتَئَ حَيْثُ نَحْنُ. وَمِنْ أَجْلِ
سَلَامَتِنَا وَأَمْنِنَا أَوْقَدْنَا نَارًا، وَاتَّفَقْنَا عَلَى أَنْ نَتَبَادَلَ الْحِرَاسَةَ فِيمَا
بَيْنَنَا. وَقَدْ بَدَأْنَا بِصَدِيقِنَا «النَّحَاتِ» الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُسَلِّيَ نَفْسَهُ.



— ماذا أرى ؟

قَالَ : مُجَرَّدُ دُمِيَّةٍ ، نَحْتَهَا صَدِيقُنَا عِنْدَمَا شَعَرَ بِوُطْأَةِ مُرُورِ الْوَقْتِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ وَحِيدٌ يَحْرُسُنَا ، وَرَأَيْتُ أَنْ أُسَلِّيَ نَفْسِي أَنَا أَيْضًا ، وَقُمْتُ بِخِيَاطَةِ ثِيَابٍ لَهَا ، وَإِذَا مَا شَعَرْتُ بِالْمَلَلِ وَالْوَحْدَةِ أَثْنَاءَ قِيَامِكَ بِالْحِرَاسَةِ ، فَعَلَيْكَ أَنْ تُدَرِّبَهَا عَلَى الْكَلَامِ . وَمَعَ طُلُوعِ الصُّبْحِ كُنْتُ فِعْلًا قَدْ عَلَّمْتُهَا كَيْفَ تَنْطِقُ ، وَتَتَحَدَّثُ . وَعِنْدَمَا اسْتَيْقَظْتُ ، دَبَّ الْخِلَافُ فِيمَا بَيْنَنَا : مَنْ مِنَّا يَحِقُّ لَهُ أَنْ يَحْتَفِظَ بِهَا وَيَلْعَبَ مَعَهَا ؟ وَأَخَذْنَا نَتَجَادَلُ ؛ النَّحَاتُ يَقُولُ : أَنَا صَنَعْتُهَا ، وَالْخِيَّاطُ يَرُدُّ : وَأَنَا كَسَوْتُهَا ، وَأَنَا أَصِيحُ : وَأَنَا عَلَّمْتُهَا الْكَلَامَ . قُلْ لَنَا أَيُّهَا الْجَرُّ الْعَزِيزُ ، مَنْ يَكُونُ مَالِكُهَا ؟

وَسَادَ الصَّمْتُ ؛ إِذْ لَمْ يَرُدَّ الْكَلْبُ الصَّغِيرُ عَلَى السُّؤَالِ بِالطَّبَعِ ، غَيْرَ أَنَّ الْأَمِيرَةَ قَالَتْ :

— إِنَّهَا لَكَ ، وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ لِعَيرِكَ . مَا قِيمَةُ أَنْ يَصْنَعَهَا النَّحَاتُ مَا دَامَتْ مُجَرَّدَ قِطْعَةٍ خَشَبٍ ؟ وَمَا جَدْوَى الثِّيَابِ الَّتِي خَاطَهَا لَهَا الْخِيَّاطُ ، مَا دَامَتْ دُمِيَّةٌ صَمَاءٌ ؟ إِنَّكَ أَنْتَ الَّذِي أَهْدَيْتَهَا مَا يَجْعَلُهَا ذَاتَ قِيمَةٍ حَقِيقَةٍ ؛ لِأَنَّكَ مَنَحْتَهَا الْكَلِمَاتِ .

قَالَ فَاِنِيكَ : هَا اَنْتِ قَدْ اعْتَرَفْتَ بِاَنَّكَ لِي زَوْجَةٌ .

عَقَّبَ الْمُسْتَشَارُونَ : لَا .. لَا .. هَذَا لَا يُمَكِّنُ اَنْ يَكُونَ ؛ فَانْتَ مِنْ طَبَقَةِ مُتَوَاضِعَةٍ ، وَسَوْفَ يُقَدِّمُ إِلَيْكَ جَلَالَةُ الْمَلِكِ مُكَافَأَةً مَالِيَّةً ضَخْمَةً فِي مُقَابِلِ هَذَا الَّذِي قُمتَ بِهِ .
وَقَالَ الْمَلِكُ : نَعَمْ ، هَذَا هُوَ مَا سَنَفْعَلُهُ .

قَالَ فَاِنِيكَ : لَقَدْ اَعْلَنَ جَلَالَةُ الْمَلِكِ اَنْ مَنْ يَشْفِي الْأَمِيرَةَ ، فَهِيَ عَرُوسُهُ وَزَوْجَتُهُ ، وَلَنْ أَقْبَلَ بِغَيْرِ ذَلِكَ ، وَكَلِمَةُ الْمَلِكِ قَانُونٌ يَجِبُ اَنْ يُنْفَذَ ، وَإِذَا مَا كَانَ جَلَالَتُهُ يَرْغَبُ فِي تَنْفِيذِ الْقَوَانِينِ ، فَالْجَدِيرُ بِهِ اَنْ يُطَبِّقَهُ عَلَى نَفْسِهِ ، وَأَنَا أَطْلُبُ يَدَ ابْنَتِهِ ، وَيَجِبُ اَنْ يُعْطِيَنِي إِيَّاهَا .

قَالَ الْمُسْتَشَارُونَ : سَوْفَ يُقْبَضُ عَلَيْكَ ، وَتَوَضَّعُ فِي السَّجْنِ ، كَيْفَ يَخْطُرُ بِبَالِكَ اَنْ يُسَيِّءَ جَلَالَتُهُ إِلَى نَفْسِهِ وَأُسْرَتِهِ الْعَرِيقَةِ ؟ إِنْ مَوْلَانَا يَجِبُ اَنْ يُصْدِرَ أَمْرًا بِاسْتِدْعَاءِ السَّيَافِ .

وَعِنْدَمَا حَانَتِ اللَّحْظَةُ الْفَاصِلَةُ ، وَجَاءَ السَّيَافُ فِعْلًا ، وَفِي يَدِهِ السَّيْفُ الْبَاتِرُ الْقَاطِعُ يَلْمَعُ ، كَانَ الْحِظُّ قَدْ قَدِمَ أَيْضًا ، وَبِحَضُورِهِ كَانَتْ تَنْتَظِرُ الْجَمِيعُ مُفَاجَأَةً ضَخْمَةً ؛ لَقَدْ انْكَسَرَ السَّيْفُ ، وَتَنَاقَرَتْ

هَنَا وَهَنَّاكَ قِطْعَا صَغِيرَةً، وَقَبْلَ أَنْ يَأْتُوا بِسَيْفٍ آخَرَ كَانَ هَنَّاكَ قَارِعٌ
 طَبْلٌ يَدُقُّهُ، وَهُوَ يَقُودُ حِصَانَهُ بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُ، وَكَأَنَّهُ طَائِرٌ فِي
 السَّمَاءِ مَعَ الرِّيَّاحِ، وَأَعْلَنَ أَنَّ عَرَبَةً مَلَكيَّةً فِي انْتِظَارِ فَانِيكَ !

كَيْفَ حَدَثَ هَذَا ؟

عِنْدَمَا عَادَتِ الْأَمِيرَةُ إِلَى الْقَصْرِ مَعَ أَبِيهَا ، قَالَتْ لَهُ :

يَا أَبِي، إِنَّ فَانِيكَ قَالَ الصِّدْقَ، وَنَطَقَ بِالْحَقِيقَةِ . كَلِمَةُ الْمَلِكِ
 يَجِبُ أَلَّا تُرَدَّ، بَلْ يَجْدُرُ بِالْجَمِيعِ أَنْ يُنْفَذُوا، وَفِي مَقْدُورِكَ يَا
 أَبِي أَنْ تُصْدِرَ مَرْسُومًا بِجَعْلِهِ أَمِيرًا !

اسْتَجَابَ الْأَبُ لِكَلِمَاتِ
 ابْنَتِهِ، وَأَمَرَ بِإِرْسَالِ الْعَرَبَةِ
 الْمَلَكيَّةِ؛ لِتَأْتِيَ بِالْأَمِيرِ فَانِيكَ،
 كَمَا طَلَبَ مِنَ السَّيَّافِ أَنْ
 يَقْتُلَ الْمُسْتَشَارِينَ الَّذِينَ كَانُوا
 يُرِيدُونَ أَنْ يَقْفُوا فِي طَرِيقِ
 الْحَقِّ وَالْعَدْلِ.



وَكَانَ الذِّكَاءُ يَقِفُ فِي الطَّرِيقِ الَّذِي مَرَّتْ بِهِ الْعَرَبَةُ تَحْمِلُ
 الْعُرُوسَيْنِ السَّعِيدَيْنِ، وَلَمْ يَكُنْ بِاسْتَطَاعَةِ الذِّكَاءِ أَنْ يَلْتَقِيَ مَعَ الْحِظِّ
 فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ، فَاكْتَفَى بِأَنْ أَحْنَى رَأْسَهُ، وَاخْتَفَى بَيْنَ جَمَاهِيرِ
 النَّاسِ الَّتِي وَقَفَتْ عَلَى جَانِبِي الطَّرِيقِ، كَانَ يَبْدُو كَأَنَّمَا سَكَبَتْ
 عَلَى رَأْسِهِ قَرْنَةُ مَاءٍ بَارِدٍ.

وَمُنْذُ ذَلِكَ الْوَقْتِ يَقُولُونَ : إِنَّ الذِّكَاءَ كَانَ دَائِمًا يُفْسِحُ لِلْحِظِّ
 مَكَانًا وَاسِعًا وَكَبِيرًا، كُلَّمَا التَّقَيَا!



كَيْفَ فَشَلَ الْعَمَلُ ؟

عَاشَ حَمَلٌ وَجَدَى عَلَى سَفْحِ جَبَلٍ، يَأْكُلَانِ مِنْ
عُشْبِهِ الْأَخْضَرَ الطَّازَجِ الْمُبَلَّلِ بِقَطْرَاتِ النَّدى ،
وَيَشْرَبَانِ مِنْ نَبْعِ مِيَاهٍ صَافٍ رَائِقٍ، وَيَتَجَوَّلَانِ هُنَا
وَهُنَاكَ، وَذَاتَ صَبَاحٍ جَمِيلٍ التَّقِيَا .



قَالَ الْحَمَلُ : إِنِّى أَشْعُرُ بِالْمَلَلِ !
وَقَالَ الْجَدَى : وَأَنَا أَحْسُ بِالسَّامِ !!
- كَيْفَ نَعِيشُ هَكَذَا، بِدُونِ عَمَلٍ ؟!
- لَقَدْ ضِقْتُ بِحَيَاةِ الْبَطَالَةِ !
- لَا بُدَّ لَنَا مِنْ مِهْنَةٍ نَرْتَزِقُ مِنْهَا .
- عَلَيْنَا أَنْ نَفْكَرَ وَنَقْدَحَ أَذْهَانَنَا .
أَخَذَ كُلُّ مِنْهُمَا يَتَمَشَّى، وَقَدْ أَشْرَقَتِ
الشَّمْسُ سَاطِعَةً دَافِقَةً .
وَبَعْدَ قَلِيلٍ قَالَ الْحَمَلُ :

- أُرِيدُ أَنْ أَحْمِلَ لِلسُّوقِ فُرْنًا صَغِيرًا، وَأَشْوَى لِرَبَائِى بَعْضَ
« الْبَطَاطَا » الْحُلُوةِ .

— فِكْرَةٌ لَطِيفَةٌ .

— مَاذَا تَنْوِي أَنْتَ ؟

— سَوْفَ أَخْبِرُ « كَعَكَا » لَذِيذًا وَأَبِيعُهُ .

— جَمِيلٌ ! وَعَلَيْنَا أَنْ نَبْدَأَ عَلَى الْفَوْرِ .

— سَنَجْنِي أَرْبَاحًا كَثِيرَةً .

— وَنُصْبِحُ مِنَ الْأَثْرِيَاءِ !

مَعَ أَوَّلِ ضَوْءٍ مِنَ النَّهَارِ، حَمَلَ كُلٌّ مِنَ الْحَمَلِ وَالْجَدَى بِضَاعَتَهُ
وَمَضَى مُبَكِّرًا إِلَى السُّوقِ، وَالْجَوْ بَارِدٌ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ سَبَقَهُمَا أَحَدٌ
إِلَيْهِ، وَاخْتَارَا مَكَانَيْنِ مُنَاسِبَيْنِ، وَوَقَفَا يَسْتَعِدَّانِ لَاسْتِقْبَالِ الزَّبَائِنِ .
بَعْدَ قَلِيلٍ شَعَرَ الْجَدَى بِالْبَرْدِ، وَرَأَى أَنْ يَتَجَهَّ نَحْوَ صَدِيقِهِ الْحَمَلِ؛
لِيَكُونَ قَرِيبًا مِنْ نَارِ الْفُرْنِ، وَسَأَلَهُ :

— كَيْفَ الْحَالُ ؟

— حَسَنٌ .

— بِكُمْ تَبِيعُ الْوَاحِدَةَ ؟

— مِنْ أَجْلِكَ أَنْتَ : بِدِرْهِمٍ وَاحِدٍ .. نَسْتَفْتِحُ عَمَلَنَا !

— كَانَ الْجَدَى يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّهُ يَسْأَلُ، لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ، وَيَوَدُّ

أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ تَسِيرُ الْأُمُورُ، غَيْرَ أَنَّهُ فَجَأَهُ غَيْرُ رَأْيِهِ، وَدَفَعَ بِالدَّرْهِمِ
 الْوَحِيدِ الَّذِي مَعَهُ إِلَى الْحَمَلِ، وَانْتَقَى أَكْبَرَ قِطْعَةٍ، وَالْبُخَارُ يَتَصَاعَدُ
 مِنْهَا، وَأَمْسَكَ بِهَا وَأَخَذَ يَلْتَهُمَهَا بِاسْتِمْتَاعٍ، وَهُوَ يَمْضِي فِي خُطُواتٍ
 بَطِيعَةٍ إِلَى حَيْثُ وَضَعَ الْكَعْكَ، وَقَدْ غَطَّاهُ بِقِمَاشَةٍ بَيْضَاءَ نَظِيفَةٍ، وَمَضَى
 بَعْضُ الْوَقْتِ، وَلَمْ يَصِلِ الزَّيَّائِنُ إِلَى السُّوقِ بَعْدُ، وَرَأَى الْحَمَلُ أَنْ يَرُدَّ
 الزَّيَّارَةَ لِصَدِيقِهِ الْجَدْيِ، وَلِيَطْمَئِنَّ
 عَلَى أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَمْضِي عَلَى مَا
 يُرَامُ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ. تَطَّلَعَ الْحَمَلُ إِلَى
 الْكَعْكَ الَّذِي أَتَى بِهِ الْجَدْيُ إِلَى
 السُّوقِ، وَرَفَعَ عَنْهُ الْغِطَاءَ، فَظَهَرَ
 شَهِيًّا، وَعِنْدَهَا سَالَ لُعَابُهُ وَسَالَ:

— بِكُمْ تَبِيعُ الْكَعْكَةَ ؟

— لَكَ أَنْتَ، بِدِرْهِمٍ وَاحِدٍ .

قَدَّمَ الْجَدْيُ الدَّرْهَمَ الْوَحِيدَ الَّذِي
 بَاعَ بِهِ قِطْعَةَ « الْبَطَاطَا » لِصَدِيقِهِ
 الْجَدْيِ، وَامْتَدَّتْ يَدُهُ، وَاخْتَارَ



كَعْكَةً ، أَخَذَهَا وَعَادَ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَقِفُ مُنْتَظِرًا قُدُومَ الزَّبَائِنِ
الَّذِينَ لَمْ يَصِلُوا بَعْدُ ، وَأَكَلَ الْكَعْكَةَ .

وَقَالَ الْجَدْيُ لِنَفْسِهِ : يَبْدُو أَنَّ الْأُمُورَ سَتَسِيرُ عَلَى مَا يُرَامُ . وَلَمَّا
مَضَى إِلَى السُّوقِ مُبَكِّرًا قَبْلَ أَنْ يَتَنَاوَلَ طَعَامَ الْإِفْطَارِ ؛ فَإِنَّهُ أَحَسَّ
بِالْجُوعِ ، وَلَمْ تَكْفِ قِطْعَةُ « الْبَطَاطَا » لِإِشْبَاعِهِ ؛ فَسَارَ إِلَى حَيْثُ يَقِفُ
صَدِيقُهُ الْحَمَلُ أَمَامَ الْفُرْنِ ، وَقَالَ
لَهُ :

– أَعْجَبَتْنِي « الْبَطَاطَا » كَثِيرًا ،
أُرِيدُ قِطْعَةً أُخْرَى .
– تَفَضَّلْ .

– وَهَذَا هُوَ ثَمْنُهَا : الدَّرْهَمُ .
أَخَذَ الْحَمَلُ الدَّرْهَمَ ، فِي حِينِ
تَنَاوَلَ الْجَدْيُ قِطْعَةَ « الْبَطَاطَا » ،
وَأَكَلَهَا خِلَالَ رِحْلَةِ الْعُودَةِ إِلَى
مَكَانِهِ مِنْ وَرَاءِ الْكَعْكِ ، وَبَعْدَ قَلِيلٍ



قَالَ الْحَمَلُ لِنَفْسِهِ :

مَا أَلَذَّ كَعُكَ صَدِيقِي !

مَرَّتْ لَحْظَاتٌ قَصِيرَةٌ، وَبَعْدَهَا سَارَ الْحَمَلُ إِلَى حَيْثُ يَقِفُ
الْجَدْيُ، وَدَفَعَ إِلَيْهِ بِالْدَّرْهِمِ، وَأَخَذَ كَعُكَةً.

وَتَبَادَلَ الصَّدِيقَانِ الرَّحْلَةَ : كُلُّ

مِنْهُمَا إِلَى الْآخِرِ، قَبْلَ أَنْ يَصِلَ

أَيُّ مَخْلُوقٍ إِلَى السُّوقِ، وَانْتَهَى

بِهِمَا الْأَمْرُ إِلَى بَيْعِ مَا صَنَعَا مِنْ

الْبَطَاطَا وَالْكَعُكِ، وَاسْتَعَدَّا لِمُعَادَرَةِ

السُّوقِ، وَكُلُّ مِنْهُمَا يَسْأَلُ نَفْسَهُ :

— أَيْنَ ثَمَنُ مَا بَعْنَاهُ، وَمَا الَّذِي

رَبِحْنَاهُ ؟

وَاضِحٌ أَنَّنَا لَمْ نَكْسِبْ شَيْئًا؛ لَأَنَّنَا

أَكَلْنَا كُلَّ شَيْءٍ.



أَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يَفْشَلَ الْعَمَلُ ؟!

كَانَا يَهْزَانِ رَأْسَيْهِمَا ، بَعْدَ كُلِّ سُؤَالٍ ، وَعَقِبَ كُلِّ عِبَارَةٍ .

قَالَ الْحَمَلُ : لَكِنَّا اسْتَمْتَعْنَا بِالْعَمَلِ !

وَقَالَ الْجَدْيُ : وَشَبَعْنَا مِنَ الطَّعَامِ !

وَأَمْسَكَ بِلِحْيَتِهِ الصَّغِيرَةِ ، وَأَضَافَ :

— يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ عَنْ عَمَلٍ أَفْضَلَ !

عَقَّبَ الْحَمَلُ : وَمِنْ الضَّرُورِيِّ أَلَّا نَلْتَهُمَ رَأْسَ الْمَالِ .

قَالَ الْجَدْيُ : لِنُصْبِحَ بِحَقٍّ مِنْ رِجَالِ الْأَعْمَالِ !



حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ

يُحْكِي أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ مَزَارِعٌ ثَرَى، يُرِيدُ أَنْ يَفُوزَ
فِي كُلِّ صَفَقَةٍ يَدْخُلُ فِيهَا بِنَصِيبِ الْأَسَدِ؛ لِذَلِكَ
لَمْ يَكُنْ غَرِيبًا أَنْ يُسَاوِمَ بِاسْتِمْرَارٍ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ
وَكَبِيرَةٍ. وَقَدْ وَعَدَ رَاعِيًا عِنْدَهُ بِأَنْ يُعْطِيَهُ عَجَلًا
صَغِيرًا فِي مُقَابِلِ عَمَلِهِ عِنْدَهُ. وَلَمَّا حَلَّ مَوْعِدُ تَنْفِيزِ هَذَا الْوَعْدِ،
رَفَضَ الْمَزَارِعُ إعْطَاءَهُ الْعَجَلِ، وَاضْطُرَّ الرَّاعِي إِلَى أَنْ يَلْجَأَ إِلَى عُمْدَةِ
الْبَلَدَةِ؛ يَشْكُو إِلَيْهِ الْأَمْرَ.



وَكَانَ الْعُمْدَةُ شَابًّا صَغِيرًا، تَوَلَّى مَنْصِبَهُ مِنْذُ وَقْتٍ قَرِيبٍ، وَلَمْ
تَكُنْ لَدَيْهِ خِبْرَةٌ كَافِيَةٌ فِي حَلِّ هَذِهِ الْمَشْكَلاتِ وَعِنْدَمَا اسْتَمَعَ إِلَى
الطَّرَفَيْنِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَحْكُمَ فِي الْقَضِيَّةِ، أَوْ يَبْتَ فِي الْأَمْرِ لِصَاحِبِ
الْحَقِّ؛ لِذَلِكَ قَالَ :

سَوْفَ أَطْرَحُ عَلَيْكُمْ لُغْزًا، وَمَنْ مِنْكُمْ يُقَدِّمُ الْجَوَابَ الْأَصَحَّ
وَالْأَصْلَحَ، يَكُونُ الْعَجَلُ لَهُ. هَلْ تَوَافَقَانِ؟

لَمْ يَكُنْ أَمَامَ الْمُتَنَازِعِينَ غَيْرُ قَبُولٍ هَذَا الْحُكْمِ الْعَجِيبِ، وَالْاِفْتِرَاحِ
الْغَرِيبِ، فَقَالَ الْعُمْدَةُ : هَذَا هُوَ اللَّغْزُ: مَا هُوَ أَسْرَعُ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا؟
وَمَا أَحْلَى مَا فِيهَا ؟ وَمَا هُوَ أَكْثَرُهَا غِنًى وَثَرَاءً ؟

عَادَ الْمُزَارِعُ إِلَى بَيْتِهِ غَاضِبًا، يَقُولُ لِنَفْسِهِ :

مَا هَذَا الْعُمْدَةُ الشَّابُّ الَّذِي لَا يَعْرِفُ كَيْفَ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ؟
لَوْ أَنَّهُ حَكَمَ لِصَالِحِي لِأَهْدِيَّتِهِ سَلَةً مِنَ الْكُمَثْرِى، أَمَا الْآنَ فَإِنِّى
مُقَدِّمٌ عَلَى فَقْدِ هَذَا الْعِجْلِ؛ لِأَنِّى لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَحِلَّ هَذَا اللَّغْزَ
الْغَبِىَّ. وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى دَارِهِ، سَأَلَتْهُ زَوْجَتُهُ:

أَرَأَيْكَ مُتَجَهِّمًا حَزِينًا ، مَاذَا بَكَ ؟





— هَذَا الْعُمْدَةُ الشَّابُّ .

إِنَّهُ جَدِيدٌ عَلَى مَنْصِبِهِ، لَوْ
أَنَّ الْعُمْدَةَ الْقَدِيمَ كَانَ مَكَانَهُ
لَأَعْطَانِي الْعِجْلَ بِلَا مُنَاقَشَةٍ،
أَمَّا صَاحِبُنَا هَذَا فَإِنَّهُ يَسْتَعِجِدُ
الْأُلْغَازَ فِي حَلِّ الْقَضَايَا الَّتِي
تُوَاجِهُهُ وَالْمَشْكِلاتِ الَّتِي
تَعْرِضُهُ .

وَعِنْدَمَا سَمِعَتِ الزَّوْجَةُ اللَّغْزَ، ابْتَسَمَتْ ، وَقَالَتْ :

— لَا تَنْزَعْجِ ، وَلَا تَقْلُقِي يَا زَوْجِي الْعَزِيزَ . إِنَّ لَدَيَّ الْحَلَ .

— حَقًّا ؟

— إِنَّ أَسْرَعَ شَيْءٍ فِي الدُّنْيَا هُوَ حِصَانُنَا، الَّذِي يُسَابِقُ الرِّيحَ،

أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ أَمَّا أَحْلَى شَيْءٍ فَهُوَ الْعَسَلُ الَّذِي نَأْخُذُهُ مِنْ خَلَايَا

النَّحْلِ الَّذِي نُرَبِّيهِ، هَلْ أَنْتَ مَعِي ؟

أَمَّا أَكْثَرُ الْأَشْيَاءِ غِنًى فَهُوَ خِزَانَتُنَا الَّتِي تَمْتَلِئُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةِ

وَالْمُجَوَّهَرَاتِ، إِنِّي عَلَى ثِقَةٍ مِنْ ذَلِكَ.

فَرِحَ الْمُزَارِعُ ، وَظَهَرَتِ الْفَرَحَةُ عَلَى قَسَمَاتِ وَجْهِهِ، وَقَالَ :

شُكْرًا لَكَ يَا زَوْجَتِي الْعَزِيزَةَ، لَا شَكَّ أَنَّ مُحَاوَلَتَكَ حَلَّ اللُّغْزِ
صَحِيحَةً وَسَلِيمَةً، وَسَوْفَ نَسْتَرِدُّ هَذَا الْعِجْلَ، وَلَنْ يَذْهَبَ أَبَدًا إِلَى
ذَلِكَ الرَّاعِي الطَّمَّاعِ الطَّمُوحِ.

وَعِنْدَمَا عَادَ الرَّاعِي إِلَى بَيْتِهِ كَانَ حَزِينًا، مُقْطَبَ الْوَجْهِ، يَتَنَهَّدُ،
وَيَزِفِرُ، وَاسْتَقْبَلَتْهُ ابْنَتُهُ الْجَمِيلَةُ الذَّكِيَّةُ عِنْدَ الْبَابِ، وَتَعَلَّقَتْ بِرَقَبَتِهِ
تُقَبِّلُهُ، وَتَسْأَلُهُ عَمَّا بِهِ :

مَاذَا هُنَاكَ يَا أَبِي ؟ وَمَاذَا قَالَ الْعُمْدَةُ؟



إِنِّي أَظُنُّ أَنَّي قَدْ فَقَدْتُ الْعِجْلَ إِلَى الْأَبَدِ؛ إِذْ طَرَحَ عَلَيْنَا الْعُمْدَةُ
لُغْزًا، لَا أَظُنُّنِي قَادِرًا عَلَى أَنْ أَجِدَ لَهُ الْجَوَابَ الصَّحِيحَ، يَا عَزِيزَتِي
«مَانْكَا».

مَا هَذَا اللَّغْزُ؟ قَدْ اسْتَطِيعُ أَنْ أُسَاعِدَكَ فِي حَلِّهِ. ذَكَرَ الرَّاعِي
الْأَسْئَلَةَ الثَّلَاثَةَ الَّتِي طَرَحَهَا الْعُمْدَةُ عَلَيْهِ وَعَلَى خَصْمِهِ الْمُزَارِعِ،
وَسَكَتَتْ «مَانْكَا»، وَأَخَذَتْ تُفَكِّرُ فِي حَلِّ هَذَا اللَّغْزِ. وَفِي الْيَوْمِ
التَّالِي عِنْدَمَا كَانَ الرَّاعِي يَسْتَعِدُّ لِلذَّهَابِ إِلَى الْعُمْدَةِ، أَجَابَتْ
«مَانْكَا» إِجَابَةً، رَأَتْ أَنَّهَا السَّلِيمَةُ.

وَعِنْدَمَا وَصَلَ الْخَصْمَانِ إِلَى الْعُمْدَةِ، فَكَ الْمُزَارِعُ يَدِيهِ فِي
بَعْضِهِمَا، وَلَا حَتَّ عَلَى وَجْهِهِ ابْتِسَامَةٌ عَرِيضَةٌ، وَتَطَّلَعَ إِلَى الْعُمْدَةِ
فِي ثِقَةٍ، وَأَعَادَ هَذَا مِنْ جَدِيدٍ طَرَحَ الْأَسْئَلَةَ الثَّلَاثَةَ عَلَى الْمُتَقَاضِيَيْنِ،
وَأَنْبَرَى الْمُزَارِعُ يَقُولُ:

— أَسْرَعُ مَا فِي الدُّنْيَا حِصَانِي، وَأَحْلَى مَا فِيهَا عَسَلِي، وَأَعْنَى
وَأَثَرِي شَيْءٌ هُوَ: خِرَانَتِي الْعَامِرَةُ بِكُلِّ مَا هُوَ ثَمِينٌ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْمُجَوَّهَرَاتِ.

وَنَفَخَ الْمَزَارِعُ صَدْرَهُ، وَأَطَالَ رَقَبَتَهُ، وَهَزَّ رَأْسَهُ؛ عَلَامَةً عَلَى الْقَوْرِ
وَالِانْتِصَارِ، وَتَسَاءَلَ فِي اسْتِنْكَارٍ: هَلْ لَدَى الرَّاعِي إِجَابَةٌ مِثْلُ الَّتِي
ذَكَرْتُهَا؟

تَقَدَّمَ الرَّاعِي، وَحَنَى رَأْسَهُ قَلِيلًا، وَقَالَ فِي هُدُوءٍ وَعُمَقٍ :
أَسْرَعُ مَا فِي الْوُجُودِ هُوَ «الْأَفْكَارُ»؛ إِذْ تَأْتِي الْفِكْرَةُ فِي لَمَحِ
الْبَصَرِ، وَهَكَذَا تَمْضِي الْأَفْكَارُ لَهَا أَجْنِحَةٌ. أَمَّا أَحَلَى شَيْءٍ يَا إِخْوَتِي
فَهُوَ «النُّومُ»، فَهَلْ تَرَوْنَ شَيْئًا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي حَلَاوَتِهِ، وَخَاصَّةً
عِنْدَمَا نَتَعَبُ؟ أَمَّا أَكْثَرُ الْأَشْيَاءِ غِنًى وَثَرَاءً فَهُوَ «الْأَرْضُ»؛ لِأَنَّهَا
مَصْدَرُ كُلِّ الْغِنَى وَكُلِّ الثَّرَاءِ فِي هَذَا الْوُجُودِ بِمَنَاجِمِهَا وَآبَارِهَا،



بِعَابَاتِهَا وَزَرَاعَاتِهَا .

تَطَّلَعَ إِلَيْهِ الْعُمْدَةُ وَهُوَ يَقُولُ : إِنَّ الْعَجَلَ لَكَ .

وَنَظَرَ إِلَى الْمَزَارِعِ مُتَسَائِلًا :

– أَلَمْ تَكُنْ إِجَابَاتُهُ الْأَفْضَلَ وَالْأَحْسَنَ ؟ إِنَّ لَدَى رَغْبَةً عَارِمَةً فِي
أَنْ أَعْرِفَ مَنْ سَاعَدَهُ عَلَيْهَا ؛ فَلَا أَظُنُّهَا مِنْ عِنْدِهِ .

فِي الْبِدَايَةِ رَفَضَ الرَّاعِي أَنْ يُعْلِنَ عَمَّنْ أَعْطَتْهُ الْإِجَابَاتِ ، لَكِنَّ
الْعُمْدَةَ ضَغَطَ عَلَيْهِ ؛ فَاضْطُرَّ إِلَى أَنْ يَذْكُرَ أَنَّهَا ابْنَتُهُ « مَانْكََا » ، فَقَالَ
الْعُمْدَةُ :

– إِنَّ فِي جُعْبَتِي الْكَثِيرَ مِمَّا أَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ ابْنَتِكَ « مَانْكََا » ؛ مِنْ
أَجْلِ مَزِيدٍ مِنَ الْاِخْتِبَارِ لَهَا .

اعْتَدَلَ الْعُمْدَةُ فِي جِلْسَتِهِ ، وَأَسْرَّ إِلَى خَادِمِهِ أَنْ يُحْضِرَ عَشْرَ
بَيْضَاتٍ أَعْطَاهَا لِلرَّاعِي ، وَهُوَ يَقُولُ :

خُذْ هَذِهِ الْبَيْضَاتِ ، وَاجْعَلِ ابْنَتَكَ « مَانْكََا » تُعْجَلُ بِفَقْسِهَا غَدًا ،
وَاحْمِلْ إِلَى الْكَتَاكِتِ أَوْ الْفِرَاخِ الْعَشْرَةَ .

وَعِنْدَمَا عَادَ الرَّاعِي إِلَى الْبَيْتِ أَبْلَغَ ابْنَتَهُ بِمَا طَلَبَهُ الْعُمْدَةُ ،
وَضَحِكَتْ الْفَتَاةُ الذَّكِيَّةُ ، وَقَالَتْ لِأَبِيهَا :



— خُذْ يَا أَبِى حَفْنَةً مِنْ تُرَابِ الْأَرْضِ، وَادْهَبْ بِهَا إِلَى الْعُمْدَةِ،
وَقُلْ لَهُ : إِنَّ ابْنَتِي تَسْأَلُكَ : هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَزْرِعَهَا بِمَحْصُولِ مَا،
فِي يَوْمِنَا هَذَا، وَتَحْصُدَهُ غَدًا؟ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَإِنَّ ابْنَتِي عَلَى
اسْتِعْدَادٍ لَأَنْ تَبْعَثَ إِلَيْكُمْ بِالْفِرَاحِ؛ لِكَيْ تُطْعِمَهَا مَا حَصَدَتْهُ مِنْ
زَرْعِكَ !

وَعِنْدَمَا سَمِعَ الْعُمْدَةُ ذَلِكَ ضَحِكَ طَوِيلًا مِنْ أَعْمَاقِ قَلْبِهِ، وَقَالَ:
إِنَّهَا فَتَاةٌ ذَكِيَّةٌ، بَلْ هِيَ غَايَةٌ فِي الذِّكَاةِ، وَإِذَا كَانَ جَمَالُهَا فِي

مُسْتَوَى ذَكَائِهَا، فَإِنِّى أَرَى أَنَّهَا تَصْلُحُ زَوْجَةً لِّى، وَعَلَيْكَ أَنْ
تُبْلِغَهَا بِأَنْ تَأْتِيَ لِرِيارَتِى، بِشَرَطٍ أَلَّا يَكُونَ ذَلِكَ بِالنَّهَارِ أَوْ بِاللَّيْلِ،
وَأَلَّا تَأْتِيَ رَاكِبَةً أَوْ سَائِرَةً عَلَى الْأَقْدَامِ، وَأَلَّا تَكُونَ عُرْيَانَةً، أَوْ مُرْتَدِيَةً
ثِيَابَهَا.

نَقَلَ الرَّاعِى رِسَالَةَ الْعُمْدَةِ إِلَى ابْنَتِهِ الَّتِى انْتَضَرَتْ إِلَى الْيَوْمِ النَّالِى،
وَمَعَ الْفَجْرِ وَعِنْدَمَا مَضَى اللَّيْلُ وَلَمْ يُقْبَلِ الصَّبَّاحُ بَعْدُ، ذَهَبَتْ إِلَى
الْعُمْدَةِ، لَفَّتْ نَفْسَهَا فِي شَبَكَةِ صَيْدٍ، وَمَشَتْ عَلَى قَدَمٍ وَاحِدَةٍ
وَوَضَعَتْ الْأُخْرَى فَوْقَ عَنَزَتِهَا الصَّغِيرَةِ وَاسْتَقْبَلَهَا الْعُمْدَةُ فَقَالَتْ
لَهُ :



عُرْيَانَةً وَلَا أَضْعُ فَوْقِي ثِيَابِي، وَلَا تَرَانِي لَا رَاكِبَةً عَنزَتِي، وَلَا أَنَا
أَمْشِي عَلَى قَدَمِي .

انْبَهَرَ الْعُمْدَةُ الشَّابُّ بِذَكَاءِ مَانْكََا، وَحُسْنِ تَصَرُّفِهَا وَسَعَةِ أُفُقِهَا،
وَطَرِيقَةِ تَفْكِيرِهَا، وَتَقَدَّمَ إِلَى أَبِيهَا يَطْلُبُ يَدَهَا وَاشْتَرَطَ عَلَيْهَا قَائِلًا:

– مَانْكََا، عَلَيْكَ أَلَا تُمَارِسِي ذَكَاءَكَ هَذَا عَلَى شَخْصِيًّا، وَلَا عَلَى
حِسَابِي، وَأُحَذِّرُكَ مِنَ التَّدْخُلِ فِي عَمَلِي، أَوْ فِي قَضَايَايَ، بِأَيِّ
شَكْلٍ مِنَ الْأَشْكَالِ، وَأَنْتَ مَمْنُوعَةٌ تَمَامًا أَنْ تُقَدِّمِي لِأَحَدٍ رَأْيَكَ
أَوْ مُسَاعَدَتِكَ إِذَا لَجَأَ إِلَيَّ؛ إِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ شَيْئًا مِنْ هَذَا فَإِنِّي
سَأَتَخَلَّصُ مِنْكَ فِي التَّوَّ وَاللَّحْظَةِ، وَأُعِيدُكَ إِلَى بَيْتِ أَبِيكَ .. هَلْ
تُوافِقِينَني عَلَى هَذَا الشَّرْطِ؟

احْمَرَّ وَجْهُ الْفَتَاةِ ، وَخَفَضَتْ صَوْتَهَا وَرَأْسَهَا، وَهِيَ تَقُولُ فِي
رِقَّةٍ وَعُدُوبَةٍ: نَعَمْ أُوَافِقُكَ .

وَتَمَّ زَوَاجُ الْعُمْدَةِ مِنْ مَانْكََا، وَكَمَا يَقُولُونَ دَائِمًا فِي الْحِكَايَاتِ:
وَأُقِيمَتِ الْأَفْرَاحُ وَاللَّيَالِي الْمِلَاحُ .

وَذَاتَ يَوْمٍ جَاءَ إِلَى دَارِ الْعُمْدَةِ فَلَاحَانٍ يَتَنَازَعَانِ مِلَكِيَّةَ مُهْرٍ

صَغِيرٍ، وَضَعَتْهُ فَرَسُ أَحَدِهِمَا تَحْتَ عَرَبَةٍ آخَرٍ فِي السُّوقِ، فَأَدَّعَى كُلُّ مِنْهُمَا أَنَّهُ لَهُ. وَكَانَ الْعُمْدَةُ مَشْغُولًا بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ، وَرَغِبَ فِي أَنْ يَفْرُغَ مِنْ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ بِسُرْعَةٍ، وَإِذَا بِهِ فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِهِ يَحْكُمُ بِأَنَّ الْمُهْرَ الصَّغِيرَ مِنْ حَقِّ صَاحِبِ الْعَرَبَةِ الَّتِي وُلِدَ تَحْتَهَا.

وَعِنْدَمَا كَانَ الْفَلَّاحُ صَاحِبُ الْفَرَسِ الْأُمِّ يُغَادِرُ بَيْتَ الْعُمْدَةِ التَّقَى مَعَ «مَانْكََا» عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَحَكَى لَهَا مَا حَدَثَ مِنْ زَوْجِهَا، فَعُضِبَتْ فِيمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ نَفْسِهَا مِنْ هَذَا الْحُكْمِ الْجَائِرِ الَّذِي أَصْدَرَهُ، وَقَالَتْ لِلْفَلَّاحِ:

عُدْ إِلَيْنَا بَعْدَ ظَهْرِ
الْيَوْمِ، وَمَعَكَ وَاحِدَةٌ مِنْ
شِبَاكِ صَيْدِ الْأَسْمَاكِ،
وَأَفْرِشْهَا عَلَى الْأَرْضِ،
بِعُرْضِ الطَّرِيقِ، وَعِنْدَمَا
يَرَاكَ الْعُمْدَةُ تَفْعَلُ ذَلِكَ
فَسَوْفَ يَخْرُجُ وَيَسْأَلُكَ:
مَاذَا تَفْعَلُ؟ قُلْ لَهُ: إِنَّكَ



تَصِيدُ السَّمَكَ! وَإِذَا مَا قَالَ لَكَ : كَيْفَ يُمَكِّنُ أَنْ تَتَوَقَّعَ صَيْدَ
السَّمَكِ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ؟ قُلْ لَهُ : لَيْسَ هُنَاكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ؛
لَأَنَّهُ عَلَى الْأَقْلِّ أَسْهَلُ بِكَثِيرٍ مِنْ أَنْ تَلِدَ عَرَبَةٌ مَهْرًا صَغِيرًا . وَعِنْدَهَا
سَوْفَ يُحْسِنُ أَنَّهُ قَدْ ظَلَمَكَ، وَيُعِيدُ إِلَيْكَ مَهْرَكَ . وَتَنْبَهُ إِلَى شَيْءٍ
مُهِمٍّ؛ احْذَرِ أَنْ تَقُولَ لَهُ : إِنِّي أَنَا الَّتِي أَرْشَدْتُكَ إِلَى هَذَا، وَدَلَلْتُكَ
عَلَيْهِ .

وَبَعْدَ ظَهْرِ ذَلِكَ الْيَوْمِ جَاءَ الْفَلَّاحُ بِالشَّبَكَةِ، وَأَلْقَى بِهَا عَلَى الْأَرْضِ
أَمَامَ بَيْتِ الْعُمْدَةِ، الَّذِي رَأَاهُ، وَسَأَلَهُ عَمَّا يَفْعَلُهُ، وَدَارَ الْحِوَارَ بَيْنَهُمَا
عَلَى نَفْسِ مَا تَوَقَّعَتْهُ «مَانِكَا»، وَفِعْلًا اعْتَرَفَ الْعُمْدَةُ بِأَنَّهُ قَدْ أَخْطَأَ
فِي حُكْمِهِ فِي الصَّبَاحِ، وَأَعَادَ إِلَى الرَّجُلِ مَهْرَهُ، لَكِنَّهُ أَحْسَنَ مِنْ تَسْلُسُلِ
الْأَحْدَاثِ أَنَّ «مَانِكَا» لَأَبَدٌ أَنْ تَكُونَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ؛ لِذَلِكَ سَأَلَ الرَّجُلُ
فِي إِصْرَارٍ عَمَّنْ دَبَّرَ لَهُ هَذَا الْأَمْرَ، وَوَضَعَ لَهُ هَذِهِ الْخُطَّةَ، وَحَاوَلَ الْفَلَّاحُ
أَنْ يُخْفِيَ الْأَمْرَ عَنِ الْعُمْدَةِ، إِلَّا أَنَّهُ رَفَضَ أَنْ يَدْعَهُ يُغَادِرُ الْمَكَانَ قَبْلَ
أَنْ يَعْتَرِفَ لَهُ بِالْأَمْرِ، وَيَكْشِفَ السِّتَارَ عَمَّنْ عَاوَنَهُ وَسَاعَدَهُ .

وَعِنْدَمَا شَعَرَ بِأَنَّ الْعُمْدَةَ مُصِرٌّ عَلَى مَعْرِفَةِ صَاحِبِ الْفِكْرَةِ اضْطُرَّ
الرَّجُلُ إِلَى أَنْ يُعْلِنَ أَنَّهَا «مَانِكَا»، وَأَنَّهُ مَا مِنْ شَخْصٍ آخَرَ يَسْتَطِيعُ
قَطُّ أَنْ يُفَكِّرَ بِهَذَا الْأُسْلُوبِ وَهَذِهِ الطَّرِيقَةِ غَيْرُهَا هِيَ وَحْدَهَا .

فَقَدَ الْعُمْدَةُ صَوَابَهُ، وَغَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَذَكَرَ زَوْجَتَهُ بِمَا
سَبَقَ أَنْ اشْتَرَطَ عَلَيْهَا قَبْلَ الزَّوْاجِ، وَقَالَ:

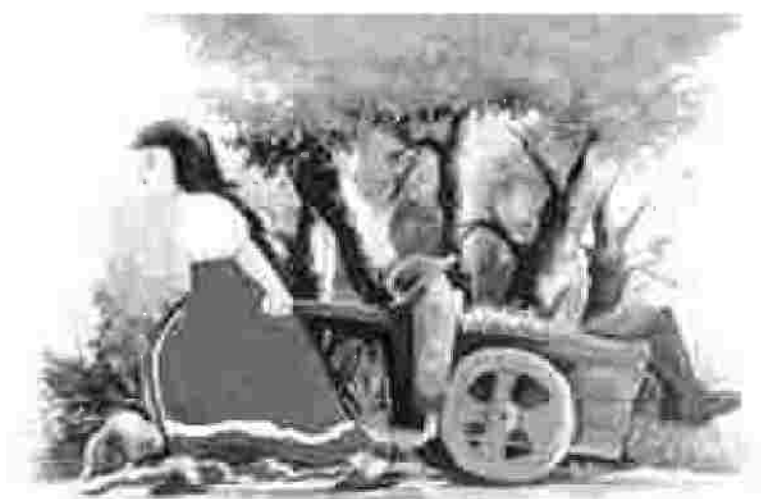
— لَا أَظُنُّكَ نَسِيتِ مَا حَدَّثْتُكَ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ، إِذَا أَنْتِ تَدْخُلِينَ
فِي عَمَلِي. إِنَّ عَلَيْكَ الْآنَ أَنْ تُغَادِرِي بَيْتِي إِلَى بَيْتِ أَبِيكَ، وَلَيْسَ
مَسْمُوحًا لَكَ أَنْ تَحْمِلِي مِنْ عِنْدِي غَيْرَ شَيْءٍ وَاحِدٍ.. وَاحِدٍ فَقَطْ،
تَرْغِبِينَ فِيهِ وَتَعْتَزِينَ بِهِ، حَتَّى لَا يُقَالَ: إِنَّنِي قَدْ أَسَأْتُ مُعَامَلَتَكَ
أَوْ أَخْطَأْتُ فِي حَقِّكَ.

لَمْ يَكُنْ لَدَى «مَانِكَ» مِنْ عُذْرٍ لِمَا صَنَعْتَهُ وَلَا مَبَرِّرٍ لِمَا عَمِلْتَهُ؛
لِذَلِكَ اعْتَرَفَتْ بِأَنَّهَا أَخْطَأَتْ، وَقَالَتْ لِزَوْجِهَا حَضْرَةَ الْعُمْدَةِ فِي
اسْتِعْطَافٍ:

إِنَّنِي يَا زَوْجِي الْعَزِيزَ مَا كُنْتُ أُرِيدُ بِمَا فَعَلْتُ غَيْرَ أَنْ يَصِلَ الْحَقُّ
إِلَى صَاحِبِهِ لَا أَكْثَرَ وَلَا أَقَلَّ، وَعَلَى كُلِّ حَالٍ سَوْفَ أَسْتَجِيبُ لِمَا
أَمَرْتَ بِهِ، وَهَذَا حَقُّكَ، وَسَأَعُودُ إِلَيَّ كُؤُخَ أَبِي، حَامِلَةً مَعِيَ ذَلِكَ
الشَّيْءَ الْوَحِيدَ الَّذِي أَذْنَتَ بِهِ، وَالَّذِي أَتَمَنَّاهُ وَأَرَعَبُ فِيهِ، غَيْرَ أَنَّنِي
أَرْجُوكَ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا بَعْدَ أَنْ أَتَنَاوَلَ مَعَكَ طَعَامَ الْعِشَاءِ. إِنَّهُ الْعِشَاءُ
الْأَخِيرُ لِي فِي هَذِهِ الدَّارِ، فَلَا تَحْرِمْنِي مِنْهُ، وَلَكِنْ أَتَبَادَلْ مَعَكَ كَلِمَةً
وَاحِدَةً، وَلَكِنْ تَصْدُرْ مِنِّي عِبَارَةٌ اعْتِرَاضٍ وَاحِدَةً عَلَى قَرَارِكَ، وَلَنَكُنْ

وَدُودَيْنِ، كُلُّ مَعَ الْآخِرِ، كَمَا كُنَّا دَائِمًا، وَلِنَفْتَرِقَ كَصَدِيقَيْنِ.
وَأَقَّ الْعُمْدَةُ عَلَى مَا طَلَبْتَهُ «مَانْكََا» الَّتِي أَخَذَتْ تَعْدُّ لَهُ أَفْخَرَ أَنْوَاعِ
الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ مِمَّا يُحِبُّهُ وَيَحْلُو لَهُ مِنْ صُنْعِ يَدَيْهَا، وَجَلَسَا مَعًا إِلَى
مَائِدَةِ الْعِشَاءِ، وَأَخَذَتْ تُقَدِّمُ لَهُ هَذِهِ الْأَطْبَاقَ وَاحِدًا بَعْدَ الْآخَرِ،
وَتَسْقِيهِ مِنَ الْأَكْوَابِ شَرَابًا لَذِيذًا طَهُورًا، وَعِنْدَمَا انْتَهَيَا مِنْ وَجَبَتَيْهِمَا
بَدَأَ النَّوْمُ يُدَاعِبُ جُفُونِ الْعُمْدَةِ، وَلَمْ تُحَاوِلْ «مَانْكََا» إِبْقَاطَهُ، بَلْ
حَمَلَتْهُ مَعَهَا، وَهُوَ مُسْتَعْرِقٌ فِي نَوْمِهِ، وَمَضَتْ بِهِ إِلَى بَيْتِ أَبِيهَا
فِي عَرَبَةٍ أَعَدَّتْهَا مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ.

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ، عِنْدَمَا اسْتَيْقَظَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ مِنْ نَوْمِهِ،
أَبْدَى دَهْشَتَهُ الشَّدِيدَةَ؛ لِأَنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي كُوخِ وَالِدِ «مَانْكََا»،



فَالْتَفَتَ حَوْلَهُ، وَسَأَلَهَا فِي غَضَبٍ شَدِيدٍ: مَنْ أَتَى بِي إِلَى هُنَا؟
وَمَاذَا يَعْنِي هَذَا؟

قَالَتْ «مَانْكََا»: لَا شَيْءَ، يَا زَوْجِي الْعَزِيزَ، إِنِّي أَنْفَذْتُ مَا أَمَرْتَ
أَنْتَ بِهِ، حِينَ قُلْتَ لِي: إِنَّ مِنْ حَقِّي أَنْ أَحْمِلَ مَعِيَ شَيْئًا وَاحِدًا
أَرْغَبُ فِيهِ وَأَعْتَزُّ بِهِ.. صَاحَ فِي ضَيْقٍ: أَنْتِ لَمْ تُجِيبِيْنِي عَلَى سُؤَالِي
الآن.

أَضَافَتْ: إِنَّكَ أَنْتَ يَا زَوْجِي الْعَزِيزَ ذَلِكَ الشَّيْءُ الْوَحِيدُ الَّذِي
أَعْتَزُّ بِهِ، وَأَرْغَبُ فِيهِ، وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَعِيشَ بِدُونِهِ؛ لِذَلِكَ صَحَبْتُكَ
إِلَى بَيْتِ أَبِي بِمَشِيئَتِكَ وَإِرَادَتِكَ. نَهَضَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ مِنَ الْفِرَاشِ
الْمُتَوَاضِعِ، وَأَمْسَكَ بِيَدِ زَوْجَتِهِ، وَهُوَ يَقُولُ لَهَا:

– «مَانْكََا»، يَا عَزِيزَتِي، أَنْتِ فِي مُنْتَهَى الذِّكَاةِ، وَأَعْتَرَفْتُ لَكَ
أَنَّكَ زَوْجَةٌ رَائِعَةٌ، وَلَسَوْفَ أَقُولُ لِمَنْ يَلْجَأُ إِلَيَّ فِي مُشْكِلَةٍ صَعْبَةٍ:
دَعْنِي أَسْتَشِيرَ زَوْجَتِي؛ لِأَنَّهَا إِنْسَانَةٌ ذَكِيَّةٌ وَعَادِلَةٌ.
وَتَرَكَ حَضْرَةُ الْعُمْدَةِ وَ«مَانْكََا» كُؤُخَ الْأَبِ إِلَى بَيْتِهِمَا السَّعِيدِ.

كَارَاكُونُوشُ

يَقُولُونَ : إِنَّ الْعَفَارِيثَ قَدْ اخْتَفَتْ مِنْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ، وَمَا
عَدْنَا نَرَاهُمْ، لَكِنَّ قَرْيَةَ «رُوكْنِيسَ» فِي جِبَالِ «بُوهِيمِيَا» تَزْعُمُ أَنَّهَا
تَحْتَفِظُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الْيَوْمِ، يَعْطِسُ فَتَهْبُ الرِّيحُ، يَعْبِسُ فَتَتَجَمَّعُ
السُّحُبُ السَّودَاءُ، وَيَغْضَبُ فَتَثُورُ الْبَرَائِكُنُ.

فِي قَرْيَةِ «رُوكْنِيسَ» عَاشَتْ أَرْمَلَةٌ فَقِيرَةٌ مِسْكِينَةٌ وَحِيدَةٌ لَا
تَمْلِكُ مِنَ الدُّنْيَا غَيْرَ بَعْضِ دَجَاجَاتٍ، وَذَاتَ يَوْمٍ جَاعَتِ الْمَرْأَةُ
وَاضْطُرَّتْ إِلَى أَنْ تَطْرُقَ بَابَ جِيرَانِهَا؛ لِتَتَوَسَّلَ إِلَيْهِمْ :

— هَلْ لِي أَنْ أَرْجُوَكُمْ أَنْ تُعْطُونِي «كَيْلُو» مِنَ الْبَطَاطِسِ وَأُعِيدَهُ



لَكُمْ قَرِيبًا؟

سَخِرَ مِنْهَا جَارُهَا، وَقَالَ لَهَا :

— مِنْ أَيْنَ لَكَ أَنْ تُعِيدِيهِ ! أَنْتِ لَا تَمْلِكِينَ شَيْئًا.

قَالَتْ : دَجَاجَتِي تَبْيِضُ ، وَعِنْدَمَا ...

— لَا .. لَا ...

هَذَا مَا قَالَهُ الْجَارُ، وَهُوَ يُغْلِقُ الْبَابَ فِي وَجْهِهَا.

رَجَعَتِ الْأَرْمَلَةُ الْمُسْكِينَةُ إِلَى بَيْتِهَا، وَوَجَدَتْ أَنَّ دَجَاجَتِهَا قَدْ

مَنْحَتْهَا ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ، قَالَتْ لِنَفْسِهَا :

— كَانَ يُمَكِّنُ لِهَذَا الْجَارِ — الَّذِي جَارَ عَلَيَّ — أَنْ يُعْفِينِي مِنَ

الرَّحْلَةِ الطَّوِيلَةِ إِلَى السُّوقِ، لَوْ أَنَّهُ أَعْطَانِي الْبَطَاطِسَ الَّتِي سَأَلْتُهُ

إِيَّاهَا.

ارْتَدَّتِ الْأَرْمَلَةُ ثِيَابَهَا عَلَى عَجَلٍ، وَحَمَلَتْ الْبَيْضَاتِ الثَّلَاثَ،

وَمَضَتْ مُسْرِعَةً إِلَى سُوقِ الْقَرْيَةِ، تُرِيدُ أَنْ تَلْحَقَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْفُضَ؛

إِذَا إِنَّ الَّذِينَ فِيهِ يَرْحَلُونَ مِنْهُ عَصْرًا؛ لِيَتِمَكَّنُوا مِنَ الْعُودَةِ إِلَى قُرَاهُمْ

الْبَعِيدَةِ.

الْتَقَتِ الْأَرْمَلَةُ فِي طَرِيقِهَا مَعَ رَجُلٍ، يَنْتَزِعُ أَقْدَامَهُ بِصُعُوبَةٍ مِنْ

فَوْقِ الْأَرْضِ، وَيَسِيرُ عَلَى مَهْلٍ، وَهُوَ غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يَلْتَقِطَ أَنْفَاسَهُ،
 كَمَا أَنَّهُ يَتَوَقَّفُ كُلَّ خَمْسِينَ خُطْوَةً؛ لِيَسْتَرِيحَ قَلِيلًا، ثُمَّ يُوَاصِلُ
 السَّيْرَ. نَادَاهَا الرَّجُلُ بِصَوْتٍ خَافَتْ قَائِلًا:

— هَلْ لَدَيْكَ مَا تُعْطِينِي إِيَّاهُ طَعَامًا؟ مَعِدَتِي خَاوِيَةٌ مُنْذُ ثَلَاثَةِ
 أَيَّامٍ!

— لَيْسَ مَعِيَ غَيْرُ ثَلَاثِ بَيْضَاتٍ، أَحْتَاجُ إِلَى ثَمَنِهَا!

— اسْتَغْنِي عَنْ وَاحِدَةٍ مِنْهَا.

— تَفَضَّلْ!

أَعْطَتْهُ الْأَرْمَلَةُ بَيْضَةً،
 وَأَسْرَعَتْ فِي سَيْرِهَا،
 لَكِنَّهَا سَمِعَتْهُ بَعْدَ عِدَّةِ
 خُطَوَاتٍ يُنَادِيهَا مِنْ
 جَدِيدٍ، وَيَسْأَلُهَا بَيْضَةً
 أُخْرَى، فَقَالَتْ:

— وَهَلْ أَذْهَبُ إِلَى

السُّوقِ لِأَبِيعَ بَيْضَةً وَاحِدَةً!



أَمْرِي إِلَى اللَّهِ !
 - الأُولَى فَتَحَتْ
 شَهِيَّتِي .

وَضَعَتِ الْمَرْأَةُ الْبَيْضَةَ
 فِي يَدِهِ، وَمَضَتْ، غَيْرَ
 أَنَّهُ نَادَاهَا لِلْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ :
 - الْبَيْضَةُ الثَّلَاثَةُ،

سَأَشْتَرِيهَا مِنْكَ بِمُقَابِلِ
 جُنْيَةٍ ذَهَبِيٍّ، وَأَدْفَعُ كَذَلِكَ
 ثَمَنَ الْبَيْضَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ . . خُذِي . . هَذِهِ ثَلَاثَةُ جُنْيَهَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ .
 ذَهَلَتِ الْمَرْأَةُ، وَأَخَذَتِ الْجُنْيَهَاتِ، وَأَعْطَتْهُ الْبَيْضَةَ، وَعَادَتْ إِلَى
 الْقَرْيَةِ، وَطَرَقَتْ بَابَ الْجَارِ الشَّحِيحِ، وَقَالَتْ لَهُ :
 - أُرِيدُ جِوَالِقَ (شُؤَالَ) بَطَاطِسٍ، وَجِوَالِقَ دَقِيقٍ، وَجِوَالِقَ سُكَّرٍ،
 وَبَاقِي جُنْيَةٍ ذَهَبِيٍّ .

صَاحَ الْجَارُ: جُنْيَةٌ ذَهَبِيَّةٌ ! لَقَدْ نَسِيتُ شَكْلَهُ !
 اصْفَرَّ وَجْهُ الْجَارِ، وَبَدَأَ يَجْرِي هُنَا وَهُنَاكَ، مِثْلَ دَجَاجَةٍ تَبْحَثُ
 عَنْ صِغَارِهَا، وَعَادَ يَحْمِلُ إِلَيْهَا مَا طَلَبَتْ، وَفَوْقَهُ هَدِيَّةٌ، وَسَأَلَهَا :

مِنْ أَيْنَ لَكَ هَذَا؟ فَقَالَتْ:

— قَبْلَ أَنْ أَصِلَ إِلَى السُّوقِ قَابَلَنِي مَنْ اشْتَرَى مِنِّي الْبَيْضَةَ بِجُنْيِهِ

ذَهَبِي !

أَعْطَى الْجَارُ لِلْأَرْمَلَةِ مَا اشْتَرَتْهُ ، وَعَادَ مُسْرِعًا ، يَحْمِلُ مَا عِنْدَهُ
مِنَ الْبَيْضِ ، وَيَمْضِي عَلَى الطَّرِيقِ ، وَالتَّقَى بِهِ الرَّجُلُ نَفْسَهُ ، وَسَاوَمَهُ ،
وَإِذَا بِهِ يَقُولُ لَهُ :

— لَنْ أَبِيعَ لَكَ الْبَيْضَةَ بِأَقْلَ مِنْ ثَلَاثَةِ جُنْيَهَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ .

— أَلَا تَكْتَفِي بِجُنْيِهِ وَاحِدٍ ؟

— لَا لَا .. لَا تُعْطِنِي عَنِ السُّوقِ ، أَرْجُوكَ .

تَرَكَهُ الْعَجُوزُ ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ الرَّجُلُ إِلَى السُّوقِ لَمْ يَجِدْ مَنْ
يَشْتَرِي مِنْهُ الْبَيْضَ ، إِلَّا بِثَمَنِ بَخْسٍ ، لَا يَزِيدُ عَلَى خَمْسَةِ قُرُوشٍ
لِلْبَيْضَةِ ؛ فَعَادَ يَحْمِلُ كُلَّ الْكَمِّيَّةِ ، وَخِلَالَ رِحْلَةِ الْعُودَةِ حَاوَلَ الْعَجُوزُ
أَنْ يَشْتَرِيَ مِنْهُ كُلَّ مَا مَعَهُ بِمُقَابِلِ خَمْسَةِ قُرُوشٍ . وَكَانَ الرَّجُلُ قَدْ
تَعَبَ مِنْ حَمْلِ الْبَيْضِ ؛ لِذَلِكَ قَبْلَ الصَّفَقَةِ ، فَقَالَ لَهُ الْعَجُوزُ :

— هَلْ تُعْطِنِي هَذِهِ السَّلَّةَ ؛ لِأَضَعَهُ فِيهَا ؟

— أَبِيعْهَا لَكَ بِجُنْيِهِ ذَهَبِي .



– لا لا .. لست بِحَاجَةٍ إِلَيْهَا. ضَعْ يَدَيْكَ عَلَى عَيْنَيْكَ.

– لِمَاذَا !

– هُوَ مُجَرَّدُ رَجَاءٍ أَسْأَلُكَ إِيَّاهُ .

فَعَلَ الرَّجُلُ ذَلِكَ فَتَرَامَى إِلَى سَمْعِهِ أَصْوَاتٌ غَرِيبَةٌ، اضْطَرَّ إِزَاءَهَا إِلَى أَنْ يَفْتَحَ عَيْنَيْهِ لِيَجِدَ الْعَجُوزَ يُلْقِي بِيَضَّةٍ وَاحِدَةً بِقُوَّةٍ وَعَنْفٍ عَلَى الْأَرْضِ لِتَتَحَطَّمْ.

مَدَّ الْعَجُوزُ – كَارَاكُونُوشُ – يَدَهُ؛ لِكَيْ يَلْتَقِطَ مِنْ دَاخِلِ الْبِيَضَةِ الْمَكْسُورَةِ جُنيْهَا ذَهَبِيًّا يَلْمَعُ، وَوَضَعَهُ فِي جَيْبِهِ، ثُمَّ أَلْقَى بِيَضَةً أُخْرَى؛ لِيَأْخُذَ مِنْهَا جُنيْهَاتٍ أُخْرَى، فِي حِينِ فَتَحَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ فِي

ذُھُولٍ، وَحَاوَلَ أَنْ يَحُولَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ تَحْطِيمِ الْمَزِيدِ مِنَ الْبَيْضِ
قَائِلًا:

– كَفَى أَرْجُوكَ؛ فَقَدْ تَذَكَّرْتُ الْآنَ أَنَّنِي وَعَدْتُ جَارَتِي بِهَذَا
الْبَيْضِ؛ لِذَلِكَ أَرْجُوكَ، فَإِنَّنِي أَرْغَبُ فِي أَنْ أَسْتَعِيدَهُ.

تَجَادَلَ الرَّجُلُ مَعَ كَارَاكُونُوشُ فِي الْأَمْرِ بِضْعَ دَقَائِقَ، إِلَى أَنْ قَبِلَ
أَنْ يَرُدَّ لَهُ الْبَيْضَ، مُتَسَامِحًا مَعَهُ فِي الْبَيْضَتَيْنِ الْمَكْسُورَتَيْنِ.

وَمَضَى عَنْهُ كَارَاكُونُوشُ بِضْعَ خُطَوَاتٍ، ثُمَّ التَفَتَ إِلَى الْوَرَاءِ؛
لِيَرَى مَا سَوْفَ يَفْعَلُهُ، فَوَجَدَ يَدَهُ قَدْ امْتَدَّتْ إِلَى بَيْضَةٍ لِيَكْسِرَهَا

عَلَى حَجَرٍ صَغِيرٍ، فَلَمْ

يَجِدَ بِدَاخِلِهَا شَيْئًا،

فَأَخَذَ يَكْسِرُ وَاحِدَةً بَعْدَ

أُخْرَى دُونَ أَنْ يَعْثُرَ فِي

أَيٍّ مِنْهَا عَلَى شَيْءٍ، بَلْ

لَمْ يَجِدْ فِيهَا قِرْشًا

وَاحِدًا!

وَجَلَسَ الرَّجُلُ يَتَطَلَّعُ

إِلَى حُطَامِ الْبَيْضِ



السَّلَّةُ بِقَدَمَيْهِ بِقُوَّةٍ، إِلَى أَنْ أَطَاحَ بِهِ، وَكَسَرَهُ عَنْ آخِرِهِ . فِي
اللَّحْظَةِ الَّتِي خَرَجَ مِنَ الْبَيْضِ فَجْأَةً عَدَدٌ كَبِيرٌ مِنَ النَّحْلِ ، وَأَخَذَ
يَقْرُصُهُ ، وَهُوَ يَصْرُخُ :

– آه .. إِنَّهُ كَارَاكُونُوشُ !

وَارْتَفَعَ صَوْتُ مَدَوٍّ مِنْ فَوْقِ الْجِبَالِ، سُمِعَتْ أَصْدَاؤُهُ فِي كُلِّ
مَكَانٍ :

– كَارَاكُونُوشُ .. كَارَاكُونُوشُ .. كَارَاكُونُوشُ .

